رحلة التمكين

محطات على طريق الأمل

بقلم
أحمد الشحات

رحلة التمكين

محطات على طريق الأمل

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع

٢٠٢٠/٩٢٩٠

الترقيم الدولي

٩٧٨-٩٧٧-٦٧٠٢-٤٤-٨

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية - أرض شاكوس - شارع ٤٩١ - كاستنيا -
متفرع من شارع مصطفى كامل الرئيسي - برج الحمد

٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي

٠١١٣٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

رحلة التمكين

محطات على طريق الأمل

أحمد الشحات

دار الخلفاء الراشدين
الإسكندرية - أرض شاكوس - شارع ٤٩٤ - كاستنيا - متفرع من شارع مصطفى كامل الرئيسي - برج الحمد
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

دار الفتح الإسلامي
الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١٣٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

أنوار الرجاء تبدد ظلمات اليأس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد: فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هدْيُ محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

ثم أما بعد: فهذه جولةٌ تأمُّليةٌ في ظلال سورة الكهف، نهدف منها إلى إيقاظ الوعي لدى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية؛ أن ميادين الإصلاح متعددة، وأن بوسعهم إذا فطنوا أن يجعلوا مِن الحياة كلها محرابًا للدعوة إلى الله، والتغيير والإصلاح.

وسورة الكهف ضمَّت بين جنباتها أربعًا من القصص الرائعة، انتظمت في عقدٍ فريدٍ، ونظمٍ بديعٍ، كأنها حلقات من اللؤلؤ النفيس؛ لترسمَ لنا ملامح بارزة في طريق التمكين المأمول.

◀ **القصة الأولى تأخذنا بصحبة شباب الكهف؛ ذلك الكهف الذي لم يَذكر لنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سياق القصة مكانه، ولا موقعه ولا هيئته، وإنما ذكر فقط اسمه الدال على حقيقته، وأصبحت السورة بأكملها عَلَمًا عليه.**

وهؤلاء الشباب وإن كانوا مجهولين عند الخلق إلا أنهم معروفون عند الله؛ أعلى القرآن ذكرهم، وخلَّد سيرتهم إلى يوم الدين، وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ زاخرةٌ بصور التضحية، ومليئة بأوسمة البطولة؛ إلا أنه كان لهؤلاء الفتية المزية العليا على غيرهم،

فصارت لهم رمزية وخصوصية لم يفز بها إلا عدد محدود مِن البشر عبر التاريخ.

مات هؤلاء الفتية في كهفهم، لم يُزَجّ بهم في السجون، ولم يُعلَّقوا على أعواد المشانق، ولكن جعل الله مِن قصتهم عبرة للأجيال بعدهم، في أن التغيير بيد الله، وأن الهداية مِن عند الله؛ فالدعاة إلى الله ينالون من خلال الدعوة شرف اللقب وشرف المهمة، ولكن الله وحده هو مالك القلوب، وبيده الأمر كله.

أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يبيِّن لنا أن الواقع الأليم الذي عاصر الفتية طَرَفًا منه، والذي لم يكن لديهم في ذلك الوقت قدرة على الجهر بخلافه -فضلًا عن تغييره أو مقاومته-؛ هذا الواقع الأليم قد تغير في ظل غيبة هؤلاء الشباب في الكهف، فلم يكونوا سببًا مباشرًا فيه، ولم يشاركوا في تغييره، ولكن الله ابتعثهم بعد ما يزيد عن ثلاثة قرون ليشهدوا هذا التغير ثم ليرقدوا مكانهم مرةً أخرى.

➤ **ثلاثة قرون في شعور النائم كأنها يوم أو بعض يوم،** ولكنها في الواقع مدة طويلة كانت كفيلة بتغيير وجه العالم؛ ذلك ليبقى

الدرس واضحًا لكل فتية في كل زمان ومكان: «أن العجلة والتسرع ليست مِن مفردات ذلك الطريق»؛ وإلا فمَن مِن البشر سيمتد عمره إلى ثلاثة قرون حتى يرى ثمرة عمله ونتاج غرسه؟!

الكهف تقول لنا: إنه ليس مِن لوازم النصر أن يحضر الداعية حفلة الانتصار الختامية، بل يكفيه فقط أن يموت على الطريق حتى ولو مات في الكهف.

فقد تمنَّى خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يموت في ساحات الوغى، وهو السيف المسلول الذي لم ينهزم في موقعة حربية خاضها؛ لا في جاهلية ولا إسلام، ولكن قدَّر الله أن يموت على فراشه، حتى قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحْفًا، وَمَا فِي جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ؛ فَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْعِيرُ؛ فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ!»(١).

وهب أن الداعية عاش لقرنٍ أو قرنين مِن الزمان، فهل يضمن أن يمد الله في أجله حتى يشهد لحظة الانتصار؟!

---

(١) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٨٣٦)، وقال المحقق: «حديث حسن».

الكهف تقول لنا: إن النصر له أجل مكتوب، ووقت مقدر، كما أن للأفراد أجلًا مكتوبًا، وعمرًا محددًا، وقد يتوافق هذا الأجل مع ذاك القدر، وقد لا يتوافق؛ فنوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث في قومه داعيًا إلى الله ما يقرب من ألف عام، ومع ذلك لم تقر عينه بإيمانهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

➤ ثم انتقلت بنا السورة إلى قصة أخرى تكشف لنا عن نموذج متكررٍ في دنيا الناس؛ هذا النموذج قد يُغري ضعاف النفوس ويؤثِّر على قليلي الإيمان؛ لأن الله وصف لنا جنتين من أجمل جنان الدنيا ثم أسند ملكيتهما لرجلٍ كافرٍ بالله جاحدٍ لنعم ربه، ظالم لنفسه ولغيره، وفي المقابل: لم ينل المؤمن الموحِّد شيئًا من هذه المتع الخلابة، ولا قريبًا منها.

وكأن القصة تصف حال الحق والباطل في كل زمان ومكان؛ فالباطل منتفش مغرور، ذو سطوة وسلطة ونفوذ، أما الحق فيبدو متضائلًا بجواره إذا ما قارن الناظر بينهما، وهذا التفاوت الكبير بين الحالين ربما يدفع السفهاء إلى التعدي على أهل الإيمان استضعافًا

لهم، واستهزاءً بهم، كما قال قوم شعيب له: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ [هود:٩١].

لكن في هذا المثال تحقق الهلاك للظالم أمام المظلوم، وهذه صورة من صور الانتصار، يقدِّر الله عَزَّوَجَلَّ حصولها من حينٍ لآخر؛ تثبيتًا لأفئدة الناس، وطمأنةً لها، حتى لا تيأس، ولا تجزع ولا تضطرب، كما أنزل الله سكينته على الصحابة يوم الأحزاب فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:٩]، وكما أنزل الله سكينته على المؤمنين في وقعة الحديبية، يقول تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ [الفتح:١٨].

تنتهي قصة الجنتين، وتبقى التجربة قائمة، ويظل الدرس باقيًا...الصراع بين الحق والباطل لا يتوقف ولا ينتهي حتى قيام الساعة.

فالدنيا ليست جنة حتى يستريح المؤمن فيها؛ إنما هي دار للعمل والكد والبذل، وهناك دار أخرى للجزاء يحاسب الله فيها على ما فات؛ لذلك تعددت مشاهد القيامة واليوم الآخر في السورة لكي تربط نفسية القارئ للآيات بهذه المشاهد الأخروية الدائمة؛ فلا يتوقف الإنسان عند المشاهد الدنيوية الزائلة التي يقدِّر الله عَزَّوَجَلَّ فيها كونًا ما لا يحبه وما لا يرضاه، أما الآخرة فليس فيها إلا الجزاء والحساب، والفصل بين الناس، قال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الصافات:٢١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى:٢١].

➤ **بعد ذلك جاءت قصة مصاحبة موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **للخضر، وهي صفحة واحدة من صفحات حياة نبي الله موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **الذي تكررت قصته في القرآن في عدة مواطن؛ ولكنَّ موقفه مع الخضر لم يُذكر إلا في هذا الموضع من سورة الكهف.**

ومع قِصَر المُدَّة التي قضاها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر؛ إلا أن فوائدها كانت هائلة، وقدَّر الله عَزَّوَجَلَّ ألا يستكمل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رحلته النافعة مع الخضر؛ إذ لو صبر عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر مدة مِن الزمن لتكشف لنا مِن الحِكَم الربانية الشيء الكثير.

هذه الرحلة القصيرة شهدت ثلاثة مواقف مختلفة بدأت بالسفينة وثَنَّت بالغلام وخُتمت بالجدار؛ ولكن المواقف الثلاثة تسير على نفس النسق، ويُستخلص منها نفس العبرة، وهي: أن لله في خلقه حِكَم وشئون يدبرها عَزَّوَجَلَّ وفق ما يعلمه تعالى من الغيب، وقد أكدت الآيات -قبل أن تشرع في ذكر هذه القصص المستغربة- أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أطلعَه الله على علمٍ مِن عنده، عبَّرت عنه الآية في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا** ﴾ [الكهف:٦٥]؛ ذلك العلم اللدُنِّي هو مِن عند الله لا يعلمه أحدٌ من الخلق إلا بكشفٍ إلهي مبين، كما حدث مع الخضر؛ لذلك صرح الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الحقيقة بعد بيان العلل والأسباب الدافعة لما قام به، فقال: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف:٨٢].

➤ **إذًا فعظمة هذه المواقف تتجلَّى في أن الله عَزَّوَجَلَّ قد كشف لنا من خلالها شيئًا من حُجُب الغيب المكنون؛ لنعلم ونوقن أنَّ الكون كله يسير وفق هذا القانون، لكننا لا نعرف ما وراء الأفعال؛ لأنها من الغيب الذي حجبه الله عنا؛ لنؤمن به ونصدقه ونسلِّم له.**

وهناك فائدة أخرى لها أهميتها ودلالتها، وهي: أن البشر مخاطبون أن يُعمِلوا قواعد الحِكَم والدلالات فيما يقدرون عليه، وفيما هو داخل في حدود علمهم وإدراكهم، وهو ما عبَّر عنه الفقهاء: بـ«فقه المآلات»، و«فقه المصالح والمفاسد»، وغيرها مِن القواعد الشرعية، فمثال السفينة قابل للتطبيق في حدود العلم البشري متى توفَّر، فقد يقدِم الإنسانُ على أن يفعل المفسدة بنفسه أو يوافق عليها ليس رضا بها، ولا حبًّا لها، ولكن درءًا لما هو أشد منها وأعظم، أمَّا مثال الغلام فلا يمكن تطبيقه أو محاكاته وفق المنظور البشري المحض؛ لأنه يعتمد على أمورٍ مِن الغيب؛ لا سبيل لمعرفتها، أو التكهن بها.

ثم ختمت السورة منظومتها الرائعة بقصة «ذي القرنين»:

ذلك الرجل الصالح الذي توفرت فيه مؤهلات القيادة والحكم مِن القوة والأمانة، فجالت بنا الآيات في سفرة رائعة مع إنجازات ونجاحات ذلك الحاكم العادل، بطريقة تجعل الناس يحبون العدل ويتشوقون له، ويسعون فيما بينهم لإقامته وتدعيمه؛ فكم تحقق على يد الملك الصالح من الخير والصلاح، وكم جعله الله سببًا في منع كثيرٍ مِن الشرِّ والفساد!

فذو القرنين أقام العدل في الممالك التي حكمها، وواجَه الظلم والفساد بما يستحقه مِن عقوبة، فسادت الطمأنينة، وعمت السعادة، وانتظمت الحياة، وذكر لنا القرآن أن هذا الرجل الصالح عندما كان يواجه المخاطر والأزمات؛ فإنه يطلب من الله العون والسداد، ثم يأخذ بالأسباب المؤدية للنجاح من علوم الدنيا ومعارف الحياة، فيصل إلى أهدافه ويحقق آماله.

◀ ومِن اللطائف التي يجمل التنويه عليها في هذه السورة: أنها بدأت بالاستضعاف والقهر، وخُتمت بالتمكين والنصر؛ فقد كانت بداية الرحلة مع فتية الكهف الذين فرُّوا بدينهم من الفتن حيث لم يكن لديهم قدرة على الجهر بكلمة التوحيد في وسط مجتمع علت فيه راية الكفر، وأكره الناس على الدخول فيه، ثم انتهت الرحلة على يد ذلك الرجل الصالح الذي مكَّنه الله بالعلم والقوة والحكمة، وحقق على يديه النصر والظفر.

وتجلَّت خاتمة القصة في مشهدٍ مِن مشاهد النجاح التي تحققت على يد هذا الحاكم العادل ببنائه للسدِّ المنيع الذي حجب الشر والفساد عن البشرية منذ أن شيَّده حتى يأذن الله بزواله وانهياره.

وكأن السورة التي صار الكهف اسمًا لها وعلمًا عليها لم تتركنا إلَّا بعد أن نشرت أشعة الأمل والرجاء في صدور مَن يقرأها ويتدبر في معانيها.

فالأيام دول، والمعاناة لا تستمر، والألم سُرعان ما تزول شدته، وحياة المرء منَّا أقصر من أن تشهد هذا كله؛ فربما كان قدر البعض

منا أن يشهد فترات التضييق، والبعض الآخر قد يرزقه الله أن يعيش في ظل الأمن والعدل والرخاء.

والبعض يشهد مِن هذا فينة، ومِن ذاك فينة؛ لكن المهم من هذا كله أن يظل الإنسان على عبوديته بربه في السراء والضراء، فلكل وقت عبوديته؛ إلا أن العبودية في ظل التضييق لها عند الله منزلة أعلى وأكرم، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، كما أشار لذلك النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١)

➤ **وختامًا نقول**: إن السورة بها مِن الكنوز والدُرَر ما نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفتح بها علينا وعلى مَن يشاء مِن خلقه؛ وبذلك تظهر الحكمة مِن استحباب تكرار قراءتها كل أسبوع؛ ذلك لأنَّ المعاني التي أرشدت إليها السورة معانٍ تأصيلية تأسيسية لا غنى للمسلم عنها، ولابد أن يستحضرها العبد على الدوام؛ لتكون له زادًا في طريقه يتكئ عليها، ويستظل بظلها الوارف.

والحقيقة التي حُفرت في فؤادي من خلال تجربتي السابقة مع سورة يوسف في كتاب: «**ملحمة الصمود**»، ومع سورة النور في

(١) رواه مسلم (٢٩٤٨).

كتاب: «أشرقت»، ومع سورة الفتح في كتاب: «على مشارف مكة»، ثم من خلال هذه التجربة:

أنَّ القرآن يعطيك مِن أسراره وكنوزه على قدر ما تعطيه مِن قلبك وعقلك وجوارحك، وعطاياه متجددة لا تفنى ولا تنفد، وكل مَن يطالع كتب التفسير -خاصة التي تهتم بالمقاصد الكلية للآيات والوحدة الموضوعية للسور-؛ يعلم أن القرآن فيه مِن العِبَر والدلالات ما لا نهاية له، ولا سقف يحده؛ غاية الأمر أن تُطهِّر قلبك ليصبح محلًّا لهذه الأنوار والمنح.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم

ممَن ينتفعون بالقرآن العظيم

معالم الهداية في سورة الكهف

«خريطة الكتاب»

معالم الهداية في سورة الكهف

خريطة الكتاب

اشتمل الكتاب على: تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، كما يلي:

التمهيد: الكهف سلوان المؤمنين:

➤ **يتناول التمهيد الحديث عن الآيات الأولى التي افتتح الله بها صدر السورة...** حيث بدأت السورة الكريمة ببضع آيات جامعة، كانت مقدمة لما سيأتي بعدها من أصول ومنطلقات بثها القرآن في ثنايا القصص الأربعة، وقد دارت هذه الآيات حول معنى البشارة والنذارة، فجاءت البشارة للمؤمنين، كما جاءت النذارة للمشركين والمكذبين، وكان المثال الذي نصَّ القرآن على كشف زيفه وفضح باطله؛ تلك العقيدة الفاسدة التي تقوم على نسبة الولد لله عَزَّوَجَلَّ، مثل بعض العقائد الوثنية، وما استقرت عليه الديانة النصرانية المحرَّفة، وقد وصفهم الله بالجهل والكذب والضلال؛ شأنهم شأن غيرهم مِن الكفار المعاندين.

الفصل الأول: قصة شباب الكهف:

➤ **يتناول هذا الفصل الفتنة الأولى التي وردت في السورة، وقد مثَّلتها قصة أصحاب الكهف**... وهي قصة توضِّح كيف أراد الكافرون أن يفتنوا هؤلاء الشباب عن دينهم وأن يكرهوهم على عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، ورغم قلة عدد هؤلاء الفتية وانعدام الوسائل التي تمكِّنهم من مواجهة قومهم؛ ولا تمكنهم كذلك من حماية أنفسهم؛ إلا أنَّ الله كتب لدعوتهم النجاح في ظل غيْبتهم الحسية -بنومهم-، وغيبتهم المكانية -بوجودهم في الكهف-، وغيبتهم الزمانية -بمكثهم ما يزيد عن ٣٠٠ عام خارج المدينة-!

تحوَّلت الفتنة بعد ثلاثة قرون إلى ملحمة مِن ملاحم التمكين:

رغم أن أصحاب الدعوة والمتحدثين الحصريين باسمها قد فرَّوا مِن الظلم، ولم تحدث بينهم وبينه مواجهات كما هو مألوف ومعتاد في قصص الصراع بين الحق والباطل، فقد كتب الله لهم النصر دون أن تُراق دماؤهم أو يُعتدَى عليهم، والله يؤتي فضله مَن يشاء.

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

۞ **المشهد الأول**: الطليعة الواعدة.

۞ **المشهد الثاني**: في جوف الكهف.

۞ **المشهد الثالث**: البعث بعد النوم.

۞ **المشهد الرابع**: العودة إلى الكهف.

۞ **المشهد الخامس**: ميزان العقيدة.

الفصل الثاني: قصة صاحب الجنتين:

◀ **يتناول هذا الفصل: الفتنة الثانية التي وردت في السورة، والتي مثَّلتها قصة صاحب الجنتين... وهي قصة تتحدث عن فتنة** المال؛ تلك الفتنة التي تضعف كثيرٌ مِن النفوس أمام بريقها، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران:١٤]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف:٤٦].

وقد اتخذت المواجهة بين الحق والباطل في هذه القصة صورة الحوار والمناظرة، فكان كل طرف يعرض حُجَجَه وأدلَّته أمام الآخر،

في جوٍّ يبدو أنَّ به بعض الحرية، وقد انتهت هذه الملحمة بانتصارٍ عمليّ ملموس لحامل الرسالة الصحيحة، وهلكت صورة الباطل، واحترقت أمام الجميع.

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** العطية الإلهية والحوار الكاشف.
- **المشهد الثاني:** البوار الكامل.
- **المشهد الثالث:** حقائق الكون وأهوال يوم القيامة.

الفصل الثالث: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر:

يتناول هذا الفصل الفتنة الثالثة التي وردت في السورة، وهي: فتنة الاغترار بالعلم... وقد عبَّرت عنها السورة من خلال قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر؛ إلا أن هذا النموذج كان تعليميًّا تربويًّا، ولم يكن فيه صراعٌ أو مواجهةٌ، فبَطَلا القصة هما: أعلمُ رجلين على ظهر الأرض وقتها؛ الأول: نبيّ. والثاني: ولي صاحب علم خاص، لا يعلمه أحدٌ مِن البشر؛ إلا أنَّ الانتصار في هذه القصة كان للقِيَم والأصول التي برزت من خلال مصاحبة موسى للخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ورغم أن القصة حوت الكثير مِن العِبَر والفوائد؛ إلا أن العنوان الرئيسي لها كان عن العلم وما يلحق به مِن مسائل.

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** العزيمة الصادقة.
- **المشهد الثاني:** مجمع البحرين.
- **المشهد الثالث:** الحوادث الغامضة.
- **المشهد الرابع:** الحِكَم الخفية.

الفصل الرابع: قصة ذي القرنين وختام السورة:

◀ **يتناول هذا الفصل الفتنة الأخيرة التي وردت في السورة،** وهي: فتنة السلطة... وقد عبَّرت عنها قصة ذي القرنين؛ ذلك الرجل الصالح الذي مَلَك الكرة الأرضية -تقريبًا- في ذلك الوقت، وقد عرضت لنا القصة نموذجًا إيجابيًّا لما ينبغي أن يكون عليه صاحب السلطة في كل زمانٍ ومكانٍ، ومع أنَّ صاحب القصة قد ملك المشارق والمغارب، وطاف اليابسة من أقصاها إلى أقصاها؛ إلا أن السلطة لم تغيره، ولم تؤثر في سلوكه، ولم تنحرف به عن الجادة المستقيمة!

وهذه القصة مختلفة عن القصص السابقة لها، في أنها تحكي قصةَ تمكينٍ مِن البداية، بل تحكي أقصى درجات التمكين المتصور وجودها في الواقع، وتصحبنا القصة مع ثلاث جولات من رحلات

هذا الملك الصالح، لتعرفنا كيف يتعامل؟ وكيف يحكم؟ وكيف يصلح الدنيا ويعمِّرها؟

وكأنها رسالة إلى كل مُمَكَّن مكَّنه الله على الأرض أو على جزءٍ منها؛ أن يسلك سيرة هذا الملك الصالح، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

وقد احتوى هذا الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** الرحلة بين المشرق والمغرب.
- **المشهد الثاني:** بناء السد.
- **المشهد الثالث:** مشاهد يوم العرض.

والملاحظ أنَّ كل قصة من هذه القصص الأربع تحكي في ذاتها قصة تمكين خاصة، والقصص الأربع بمجموعها تحكي قصة تمكين عامة، وكأنها تدلُّنا على الخطوات والمراحل التي يجب أن تسلكها الدعوات حتى تصل إلى مرحلة التمكين العامة.

فمطلع السورة يحدثنا عن الإيمان والعمل الصالح، وقصة فتية الكهف ترشدنا إلى ضرورة الثبات على الدِّين والتمسك به في مواجهة الباطل، وقصة صاحب الجنتين تلفت أنظارنا إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل من أجل الدين وضرورة نشره، والتحرك به، وقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ترشدنا لأهمية طلب العلم وضرورة الصبر عليه، وتأتي قصة ذي القرنين لتتوج هذه المراحل بالتمكين الذي يهيئ الله له رجاله ومَن يستحقونه.

التمهيد

الكهف سلوان المؤمنين

التمهيد
الكهف سلوان المؤمنين

سورة الكهف من السور المكيّة التي نزلت على الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، وهي سورة عظيمة القدر، جاءت في فضل تلاوتها أحاديث كثيرة، ورتّب الشرع على تكرار قراءتها كل أسبوع جائزة عظيمة، وهي أنها تضيء لقارئها مِن النور ما بين الجمعتين، قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ**»(١).

➤ **والحثُّ على قراءتها كل جمعة**؛ لتظل معانيها والتوجيهات التي بها نورًا يعصم صاحبها مِن الفتن على مدار الأسبوع، ثم يتجدد الأمر كل جمعة حتى تظل السورة حيَّة في قلب مَن يقرأها ويعتصم بها، فما فيها مِن نورٍ ورحمةٍ وطمأنينةٍ لا يوجد في غيرها مِن السور. فاللهم لك الحمد.

➤ **كما أن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو مِن آخرها، تعصم صاحبها من فتنة المسيح الدجال**، قال رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) رواه البيهقي (٥٩٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٦٤٧٠).

«**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»(١)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنَ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»(٢)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يَضُرَّهُ**»(٣).

۞ ومعلوم أن هذه الفتنة تكون شديدة البأس على كثيرٍ مِن الناس؛ لما يجريه الله على يد هذا الدجال من خوارق العادات، ومذهلات الأفعال، ولكنَّ المؤمن يزداد فيه بصيرة، ويدرك أنها فتنة، فيعصمه الله منه فلا يتأثر به، والجزاء من جنس العمل.

◄ **والحكمة مِن جعل سورة الكهف عاصمة من هذه الفتن العظيمة**: أن الموضوع الرئيس للسورة هو: تأهيل المؤمن على الوقاية مِن الفتن، والتي جمعت السورة نماذج مختلفة منها، ففيها: الوقاية من الفتنة في الدِّين، والمال، والولد، والسلطة، والعلم، وهي فتن قوية متكرر تفتك بأهلها، وبالتالي أصبحت السورة من الوسائل الواقية

(١) رواه مسلم (٨٠٩).
(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٧٢٠).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط (١٤٥٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٥١).

من الفتن؛ سواء كانت الفتنة الكبرى المتعلقة بدجال آخر الزمان، أو فتن غيره من الدجاجلة عبر الزمان والمكان، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(١).

➤ **وحذَّرنا النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِن أئمة الضلال والسوء**، وذكر أن أثرهم في الأمة يقارب تأثير الدجال، بل ربما زاد، فعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ...»**(٢)، والمراد: الأئمة المضلون(٣)،

---

(١) رواه مسلم (١٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٣) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما معنى الحديث، ففيه أوجه: أظهرها: أنه مِن أفعل التفضيل، وتقديره: غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم... ومنه: أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون؛ معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون. والثاني: بأن يكون أخوف مَن أخاف بمعنى: خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم. والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة».

[انظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٦٤)]

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص:٤١].

➤ **ومع أن فتنة الدجال هي أكبر فتنة تمر على البشر منذ خلق آدم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **إلى قيام الساعة**؛ إلا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل فتنة هؤلاء الأئمة المضلين أعظم مِن فتنة الدجال؛ وذلك لأن الدجال فيه مِن العلامات ما يجعله معروفًا عند كل مسلم؛ فهو أعور، مكتوب بين عينيه: «كافر» يقرؤها مَن يكتب ومَن لا يكتب، فمَن كانت عنده أدنى بصيرة؛ علم أن هذا المخلوق الحقير لا يمكن أن يكون إلهًا قديرًا، وإلا لأصلح مِن حال نفسه وكمَّل نقص خلقته، فخطورة الدجال وفتنته على عظمها، لكنها ظاهرة معروفة يسيرة على المؤمنين.

ولكن أئمة الضلال ضررهم أعظم، وخطرهم أكبر؛ لأنهم يلبِّسون على الناس باسم الدِّين، ويحرِّفون كتاب الله وآياته، مستغلين أن سلطانهم على الناس أعظم سلطان؛ لأنهم يتكلمون باسم الدِّين، فينساق الناس وراءهم -ظنًّا منهم أنهم على الحق-؛ مما يوقع الناس في حيرة ملمة، وظلمة مدلهمة.

الآيات كما جاءت في صدر السورة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف:١-٨][(١)]

➤ **من الملاحظ** أن صدر السورة جاء مناسبًا لسبب نزولها؛ فقد جاء في سبب نزولها: عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

(١) بيان معاني الكلمات:

عِوَجًا: ميلًا عن الحق. قَيِّمًا: مُسْتَقِيمًا مُعْتَدِلًا.

كَبُرَتْ كَلِمَةً: عظمت فرية. بَاخِعٌ نَفْسَكَ: قاتل نفسك ومهلكها.

أسفًا: حَزَنًا وَغَمًّا.

صَعِيدًا جُرُزًا: الصعيد: هو التراب، والجرز: الأجرد الذي لا نبات فيه.

أن قريشًا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا مِن علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

قال: فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؛ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقال: يا معشر قريش! قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا محمد، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أخبركم غدًا عما سألتم عنه**»، ولم يقل: إن شاء الله.

فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحيًّا، ولا يأتيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيءٍ عما سألناه عنه! حتى أحزن رسول الله تأخر الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله عَزَّ وَجَلَّ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوا عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥][(١)].

وقد كان غرض المشركين من هذه الأسئلة اختبار صدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورغم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أجاب عن الأسئلة بما يوافق الكتب التي بين أيدي اليهود؛ إلا أنهم لم يؤمنوا به؛ لأنهم لم يكن غرضهم الإيمان، ولكن كان مرادهم التشكيك والتعجيز،

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٦).

وكانوا يسألون سؤال المتعنِّت، ولم يطلبوا الهداية؛ فلذلك لم يوفقهم الله إليها، وظلوا على موقفهم من الشرك والضلال.

➤ **كما أن مطلع السورة جاء مناسبًا لآخر آية في سورة الإسراء وهي السورة التي تسبق سورة الكهف في ترتيب المصحف،** فإن الله ختم سورة الإسراء بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء:١١١]، فجاء استفتاح سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف:١]، فالحمد لله ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربنا مِن شيء بعد.

هداية الآيات:

١- عظمة القرآن وعظمة مَن نَزَل عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾:

الحمد هو الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ بصفات كماله ونعوت جلاله، ومِن أجلِّ ما يستوجب الثناء من العبد: ما أنعم الله به على الخلق

مِن إرسال الرسل، وإنزال الكتب التي عن طريقها يؤمن الناس ويعرفون سبل الهداية؛ إذ إن جميع النعم الدينية والدنيوية فرعٌ على نعمة الهداية والصلاح، فمَن وفقه الله لهذه النعمة فقد حصَّل خيرات الدنيا والآخرة، ومَن فقدها؛ فقد غاب عنه النجاح والفلاح حتى ولو جمع كل الأسباب والوسائل!

◀ ومِن أجلِ تأكيد هذا المعنى، جاءت آيات القرآن في عدة مواضع لتقرِّر هذا المعنى في نفوس السامعين:

فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١]، وقال عن عُبَّاد الأصنام من المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان:٢٥].

◀ والحمد هو ثناء أهل الجنة، والذكر الذي تلهج به ألسنتهم: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤].

◄ **أما عن مناسبة بدء هذه السورة بحمد الله على إنزال الكتاب**؛ فهو أن المشركين قد فرحوا بتأخر الوحي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعدوا ذلك خذلانًا من الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مما أدخل الحزن على قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءت السورة التي ترد على أسئلتهم ردًّا مفصَّلًا مفحمًا، فناسب أن تبدأ بحمد الله على نعمه المتتابعة، ومِن أجلِّها: إنزال الوحي بالقرآن الكريم.

◄ **وقد أثنت الآية على الكتاب وجعلته من أعظم النعم**، وأثنت كذلك على مَن اختاره الله عَزَّوَجَلَّ لينزل عليه الكتاب، وهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي وصفه بأجلّ وصف حازه بشر، وهو وصف العبودية، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، وكما قال عن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:٤٤].

➤ **وفي ذكر الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعنوان العبودية**: تنبيهٌ على عظمة المُنزَّل والمنزَّل عليه، وإشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبدًا للمرسل، لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

➤ **وقد وصف الله هذا الكتاب بالاستقامة وعدم الاعوجاج**؛ «فنفي العوج يقتضي أنه ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره ونواهيه ظلم ولا عبث، وإثبات الاستقامة يقتضي أنه لا يخبر ولا يأمر إلا بأجلِّ الإخبارات، وهي الأخبار التي تملأ القلوب معرفة وإيمانًا وعقلًا: كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومنها الغيوب المتقدمة والمتأخرة، وأن أوامره ونواهيه تزكي النفوس وتطهرها، وتنميها وتكملها؛ لاشتمالها على كمال العدل والقسط، والإخلاص، والعبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له، وحقيقٌ بكتابٍ موصوفٌ بما ذكر أن يحمد الله نفسه على إنزاله، وأن يتمدح إلى عباده به»[1].

وقد جاءت بداية السورة كما ترى قويةً صارمةً، تقرر أصل العقيدة، فذكرت الرب جَلَّ وَعَلَا، وذكرت رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكرت الكتاب الذي جاء به، وهذه هي معالم الرسالة ومرتكزات

(١) تفسير السعدي (ص٤٦٩).

العقيدة التي لا لَبس فيها، ولا غموض بشأنها، ولا مجال للانحراف عنها أو الاعوجاج عن طريقها.

٢- منهج القرآن بين البشارة والنذارة:

قال الله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾:

➤ **عجيب أمر هذا القرآن**! فهو بشارةٌ لأقوام، وهو بذاته نذارةٌ لآخرين؛ رغم أن كلا الفريقين يسمع نفس الآيات، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:٤٤]، وهذا هو مقتضى العدل والحكمة؛ لأنه نزل ليبشِّر بالثواب الذي رتَّبه الله على الإيمان والعمل الصالح، وأعظم ذلك الثواب وأجلُّه: الفوز برضا الله، ودخول الجنة.

كما أنه ينذر بالعقاب لمَن عصاه وخالف أمره؛ لذلك كان مِن المناسب أن تأتي الشدة والغلظة مع النذارة، ويأتي مع البشارة وصف

الأجر بالحسن؛ دلالة على أنه لا كدر فيه بوجهٍ مِن الوجوه؛ إذ لو وجد فيه شيء من ذلك لم يكن حسنه تامًّا.

وقد قَرَنَت الآية بين الإيمان والعمل الصالح؛ فالإيمان الذي في القلب لابد وأن يظهر له أثرٌ على الجوارح.

٣- العقائد المنحرفة:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾:

والمراد هنا بـ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾: المشركون الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، وهذا الكفر قد تلبَّس به اليهود عندما قالوا: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، وتلبَّس به النصارى عندما قالوا: ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٠]، وقد استعمل القرآن في وصف ذلك أشد العبارات وضوحًا ودلالةً، فوصفهم بالجهل واتباع الهوى والكذب، وبيَّن أنَّ مقالتهم شنيعةٌ قبيحةٌ تستنكرها العقول وتنفر منها النفوس.

ومناسبة ذكر آبائهم في هذا المقام: أنهم يستدلون دائمًا على فساد عقيدتهم بأنهم ورثوها عن آبائهم، فقد حكى القرآن تجربتهم مع الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، فأراد القرآن أن ينفي العلم عنهم وعما يعتبرونه حجة قوية فيما يعتقدونه مِن الكفر!

ونفي العلم هنا: المقصود به العلم الأخروى الموصل إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والذي عن طريقه تحصل نجاة العبد في الدنيا والآخرة؛ وإلا فالكفار اليوم يحصِّلون أنواعًا من العلوم المتقدمة، ويبلغون الدرجات العليا في ذلك، ولكنه علم لا ينفعهم عند الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، فهذا هو غاية سعيهم أنهم علموا بعضًا من علوم الدنيا، وليس كل ما يخص الدنيا من علم، فما حجبه الله عنهم أضعاف ما وصلوا إليه أو اكتشفوه.

وأما علم الآخرة فهم في غفلة تامة عنه، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم].

➤ **وقد جاء الرد على عقائد النصارى مناسبًا لطبيعة الموقف،** فأبطال قصة الكهف كانوا ممَن يدينون بالديانة النصرانية وقت أن كانت هي الديانة الحقة في مواجهة الوثنية الكافرة، حيث كان هؤلاء الفتية هم حاملي راية التوحيد في ذلك الزمان، ولكن ما تعرضت له الديانة بعد ذلك من تحريف على يد الأحبار والرهبان أخرجها عن مسارها الصحيح، حتى إذا جاءت البعثة المحمدية فرقانًا بين الحق واتباع الهوى، كذَّب النصارى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يؤمنوا به رغم أنهم يعرفونه حق المعرفة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

وجملـة: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: تدل على جرأتهم على النطق بها ووقاحتهم في قولها، والتعبير بالفعل المضارع لاستحضار صورة خروجها من أفواههم تخييلًا لفظاعتها، وفيه إيماء إلى أن مثل ذلك الكلام ليس له مصدر غير الأفواه؛ لأنه لاستحالته تتلقاه وتنطق به أفواههم، وتسمعه أسماعهم، ولا تتعقله عقولهم؛ لأن المحال لا يعتقده العقل، ولكنه يتلقاه المقلِّد دون تأمل.

وتأمل النفي في قوله: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾؛ فقد استعمل في النفي كلمة «إنْ» لا كلمة «مَا»؛ لأن في الأولى صرامة وصراحة، وفي لفظ: «مَا» شيء من الليونة، والغرض المقصود مِن ذلك: زيادة التشديد في الاستنكار، وزيادة التوكيد على كذب هذه الكلمة الشنيعة المستنكرة(١).

➤ وهذا يدلنا على خطر الكلمة وعظيم شأنها، فهؤلاء تلبسوا بالكفر بسبب الكلمة، ودخول العبد في الإسلام يكون بكلمة أيضًا، وكان كفار قريش يعلمون أثر ومنزلة الكلمة، فإنه: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَا وَاللهِ**

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٢).

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣][(١)]، ولولا علمها بأثر الكلمة لتركانه يقولها.

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[(٢)].

فإذا رأيت هذا الكفر المنتشر في ربوع الأرض وغيره من أنواع الشرك فقل: «الحمد لله»، كما أمرك الله في بداية السورة، فتوفيق الله لك بأن تكون عبدًا له لا لغيره -من سائر المعبودات الباطلة- نعمة جليلة تستحق الحمد والشكر، آناء الليل وأطراف النهار.

---

(١) رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤).

(٢) رواه أحمد (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١٢٢).

٤- القلب المحترق:

قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾:

في هذه الآية تسلية للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان بالله والإعراض عن دعوته، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٢٧]. وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:٣].

وباخع نفسه: أي: مهلكها. **والآثار:** جمع أثر، وهو ما يبقيه الماشي أو الراكب في الرمل من مواطىء أقدامه وأخفاف راحلته.

والأثر أيضًا: ما يبقيه أهل الدار إذا ترحلوا عنها، «وبالتالي يكون المعنى المراد هو: تمثيل حال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في شدة حرصه على اتباع قومه له، وفي غمه من إعراضهم، وتمثيل حالهم في النفور والإعراض، بحال مَن فارقه أهله وأحبته فهو يرى آثار ديارهم ويحزن لفراقهم.

وكأن هذا الكلام سيق إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر أوقات رجائه في إيمانهم؛ إيماءً إلى أنهم غير صائرين إلى الإيمان، وتهيئةً لنفسه أن تتحمَّل ما سيلقاه مِن عنادهم، رأفة مِن ربه به؛ ولذلك قال: «**إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ**» بصيغة الفعل المضارع المقتضية الحصول في المستقبل، أي: إن استمر عدم إيمانهم»[1].

يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على هداية الخلق، ساعيًا في ذلك أعظم السعي، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين؛ شفقة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، ورحمة بهم؛ أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء الذين لا يؤمنون بهذا القرآن.

كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]، وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]، وهنا قال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: مهلكها، غمًّا وأسفًا عليهم؛ وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرًا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غمًّا وأسفًا عليهم، ليس فيه فائدة لك.

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٥).

➤ **وفي هذه الآية ونحوها عبرة**؛ فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سببٍ يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقُوَى، ليس فيه فائدة؛ بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته.

وإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول الله له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦]، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [المائدة:٢٥]، فمَن عداهم مِن باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية]»[١].

٥- الدنيا الفانية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾:

كثير من الخلق يعيش على ظهر هذه الدنيا ولا ينتبه لحقيقتها ولا يعرف طبيعتها؛ رغم أن القرآن أوضح لنا حقيقة الدنيا، وبيّن

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٠).

لنا المنهج الصحيح في التعامل معها، كما تفطَّن لهذه الحقيقة ووعى مرادها سحرة فرعون بعد ما خالط الإيمان بشاشة قلوبهم، فقالوا لفرعون: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢].

➤ **وتأمل في تعبير القرآن** عندما يجمع كل ملذات الدنيا المتصوَّر وجودها في قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾، إن الإنسان منا رُبَّما يعيش عمره كاملًا ويطوف بلاد الدنيا ولا يجمع ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ بل لا يشاهد ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾؛ فإذا علمتَ أن هذا كله مما علمته ولم تعلمه هو مجرد ﴿زِينَةً﴾؛ أيقنْتَ أنَّ التكالُب على الدنيا خذلان وخسران، فإنَّ القرآن لم يكتفِ بهذا الوصف، بل أضاف الزينة للدنيا ولم ينسبها للمتمتعين بها، فقال: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ولم يقل: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾؛ وذلك إمعانًا في بيان حقارة الدنيا ووضاعة شأنها.

ورغم كل ذلك فإنها فانيةٌ مضمحلةٌ، وزائلةٌ منقضيةٌ، وستعود الأرض صعيدًا جرُزًا، قد ذهبت لذاتها، وانقطعت أنهارها، واندرست آثارها، وزال نعيمها؛ فكيف لعاقلٍ أن يتعلق بنعيم منقوص مضمحل، ويترك النعيم الكامل الأبدي؟! كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى].

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة مِن خزف يبقى، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى، على ذهب يفنى. قال: فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟!»(١).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه حقيقة الدنيا، قد جلاها الله لنا كأنها رأي عين، وحذرنا من الاغترار بها، ورغبنا في دار يدوم نعيمها، ويسعد مقيمها؛ كل ذلك رحمة بنا، فاغتر بزخرف الدنيا وزينتها، مَن نظر إلى ظاهر الدنيا دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، لا ينظرون في حق ربهم، ولا يهتمون لمعرفته، بل همهم تناول الشهوات مِن أي وجه حصلت، وعلى أي حالة اتفقت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذاته؛ لا لما قدمت يداه مِن التفريط والسيئات!

وأما مَن نظر إلى باطن الدنيا، وعلم المقصود منها ومنه، فإنه يتناول منها ما يستعين به على ما خلق له، وانتهز الفرصة في عمره

---

(١) تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٤).

الشريف، فجعل الدنيا منزل عبور، لا محل حبور، وشقة سفر، لا منزل إقامة، فبذل جهده في معرفة ربه، وتنفيذ أوامره، وإحسان العمل، فهذا بأحسن المنازل عند الله، وهو حقيق منه بكل كرامة ونعيم، وسرور وتكريم، فنظر إلى باطن الدنيا، حين نظر المغتر إلى ظاهرها، وعمل لآخرته، حين عمل البطال لدنياه، فشتان ما بين الفريقين، وما أبعد الفرق بين الطائفتين!»(١).

وقال الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومناسبة موقع هذه الآية هنا خفية جدًّا أعوز المفسرين بيانها، والذي يبدو: أنها تسلية للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم وأعطاهم زينة الدنيا لعلهم يشكرونه، وأنهم بطروا النعمة، فإن الله يسلب عنهم النعمة فتصير بلادهم قاحلة، وهذا تعريض بأنه سيحل بهم قحط السنين السبع التي سأل رسول الله ربه أن يجعلها على المشركين كسني يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقد جاء نظم هذا الكلام على أسلوب الإعجاز في جمع معانٍ كثيرةٍ يصلح اللفظ لها من مختلف الأغراض المقصودة، فإن الإخبار

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٠).

عن خلق ما على الأرض زينة يجمع الامتنان على الناس والتذكير ببديع صنع الله؛ إذ وضعَ هذا العالم على أتقن مثال ملائم لما تحبه النفوس من الزينة والزخرف.

ومن لوازم هذه الزينة: أنها توقظ العقول إلى النظر في وجود مُنشئها وتسبر غور النفوس في مقدار الشكر لخالقها، وجاعلها لهم، فمِن موفٍّ بحق الشكر، ومقصِّرٍ فيه، وجاحد كافر بنعمة هذا المنعم ناسبٍ إياها إلى غير موجدها!

ومِن لوازمها أيضًا: أنها تثير الشهوات لاقتطافها وتناولها، فتستثار من ذلك مختلف الكيفيات في تناولها وتعارض الشهوات في الاستيثار بها؛ مما يفضي إلى تغالب الناس بعضهم بعضًا واعتداء بعضهم على بعض.

وذلك الذي أوجد حاجتهم إلى الشرائع لتضبط لهم أحوال معاملاتهم؛ ولذلك علل جعل ما على الأرض زينة بقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، أي: أفوت في حسن العمل من عمل القلب الراجع إلى الإيمان والكفر، وعلم الجسد المتبدي في الامتثال للحق والحيدة عنه»[(١)].

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٦-٢٥٧).

➤ **وتأمل في معيار تفاضل الأعمال عند الله**، فالشرط الذي به ترتفع أعمالك هو: «الحُسن» وليس «الكثرة»، فربما تكثر أعمال العبد، لكنها لا تبلغ مرتبة الحسن؛ لذلك قال هنا: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، وقال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، ونظائر هذا الأمر في القرآن كثيرة جدًّا فتنبه!

كتابي صديقي

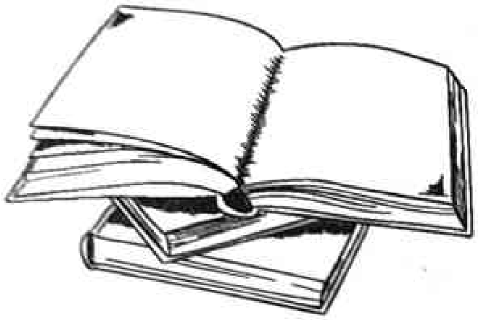

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات: من الآية رقم: (١) حتى الآية رقم: (٨)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

إذا رأيت أنواع الكفر والشرك التي تموج بالعالم مِن حولك فقل: «الحمد لله» كما أمرك الله، فتوفيق الله لك بأن تكون عبدًا له لا لغيره -من سائر المعبودات الباطلة- نعمة جليلة تستحق الحمد والشكر، آناء الليل وأطراف النهار.

تأمل في تعبير القرآن عندما يجمع كل ملذات الدنيا المتصوَّر وجودها في قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾، إن الإنسان منا رُبَّما يعيش عمره كاملًا ويطوف بلاد الدنيا ولا يجمع ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ بل لا يشاهد ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ فإذا علمتَ أن هذا كله مما علمته ولم تعلمه هو مجرد ﴿ زِينَةً ﴾؛ أيقنْتَ أنَّ التكالُب على الدنيا خذلان وخسران.

تأمل في تعبير القرآن حينما أضاف الزينة للدنيا ولم ينسبها للمتمتعين بها، فقال: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ولم يقل: «زِينَةً لَهم»؛ وذلك إمعانًا في بيان حقارة الدنيا ووضاعة شأنها.

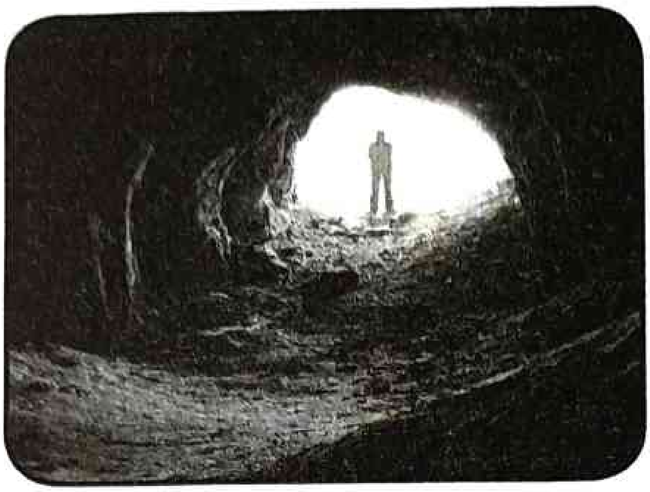

الفصل الأول

قصة شباب الكهف

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

۞ **المشهد الأول:** الطليعة الواعدة.

۞ **المشهد الثاني:** في جوف الكهف.

۞ **المشهد الثالث:** البعث بعد النوم.

۞ **المشهد الرابع:** العودة إلى الكهف.

۞ **المشهد الخامس:** ميزان العقيدة.

قصة شباب الكهف

تمهيـد:

يذكـر لنا القـرآن في هذه القصـة خبر بضعة نفرٍ من الشـباب، لم يتجـاوز عددهم السـبعة على أصـح الأقوال، لم يكن بينهم سـابق معرفـة أو صداقـة، ولكـنَّ الرابطة التـي جمعتهم هي رابطـة الإيمان والعقيدة، وبغض الشرك وأهله.

عاش هؤلاء في زمنٍ الله أعلم به، ولكنَّهم كانوا في مكانٍ يعلوه الكفر والظلم والبطش، فأما كفر قومهم فـيظهر من قولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ [الكهف:١٥]، وأما ظلمهم وبطشهم فيظهران من قولهم: ﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ ﴾ [الكهف:١٦]، والظاهر: أنَّ المدينة كلَّها كانت مطبقةً على هذا الظلم، مجمعةً على هذا الكفر، فلم يكن لهم ظهرٌ يحميهم أو قوةٌ يحتمون بها.

لذلك لم يكن أمامهم بعد إذ أظهروا دعوتهم وأنكروا على قومهم سوى الفرار، فالبقاء وسط هذا الكفر لا يُمكِّنُهم من إقامة شعائر دينهم؛

فضلًا عن أن يتمكنوا من الإنكار على قومهم، ولن يرضى منهم هؤلاء الظالمون إلا الدخول في دينهم كُرهًا أو تسليمهم للقتل رجمًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف: أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وأنهم خرجوا يومًا في بعض أعياد قومهم، وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت، ويذبحون لها، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له: «دقيانوس»، وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم إليه.

فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها، لا ينبغي إلا لله الذي خلق السماوات والأرض، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه، وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية.

فكان أول مَن جلس منهم وحده تحت ظل شجرة، فجاء الآخر فجلس عنده، وجاء الآخر فجلس إليهما، وجاء الآخر فجلس إليهم، وجاء الآخر، وجاء الآخر، وجاء الآخر، ولا يعرف واحد

منهم الآخر، وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان، وجعل كل أحد منهم يكتم ما هو فيه عن أصحابه خوفًا منهم، ولا يدري أنهم مثله، حتى قال أحدهم: تعلمون -والله يا قوم- إنه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلَّا شيء، فليظهر كل واحد منكم بأمره.

فقال آخر: أما أنا فإني رأيت ما قومي عليه، فعرفت أنه باطل، وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيء هو الله الذي خلق كل شيء؛ السماوات والأرض وما بينهما. وقال الآخر: وأنا والله وقع لي كذلك. وقال الآخر كذلك، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة، فصاروا يدًا واحدة، وإخوان صدق، فاتخذوا لهم معبدًا يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فتهددهم وتوعدهم، وأجلهم لينظروا في أمرهم، لعلهم يراجعون دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا من لطف الله بهم، فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه، والفرار بدينهم من الفتنة»[١].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٠) وما بعدها.

➤ **وقد هدى الله هؤلاء الفتية إلى الفرار إلى كهف يبدو أنه يقع خارج حدود القرية، لكنه ليس بعيدًا عنها؛** دلَّ على ذلك قولهم بعد بعثهم من النوم ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ [الكهف:١٩]، وبعد أن وصل الفتية إلى الكهف في أمان، ضرب الله عليهم النوم، وسخَّر لهم الكون ليحفظهم من كل الشرور والمضار المحتمل إصابتهم بها عن طريق البشر أو عن أي طريق آخر.

➤ **نام الفتية في الكهف مدة من الزمن تزيد على ثلاثة قرون،** كانت المدينة فيها تغيرت تغيرًا جذريًّا، فالملك الكافر قد هلك، والمجتمع قد صلح شأنه، وقد أقامهم الله من رقدتهم ليكملوا الحلقة المفقودة في القصة التي يبدو أن أهل المدينة يحفظونها جيدًا، ولكنَّهم لا يعرفون نهايتها بعد.

➤ **فبعثهم الله من نومهم ليبرهنوا على صدق وعد الله** عَزَّوَجَلَّ **بانتصار الحق،** ونصرة المؤمنين، وليُصَحِّحُوا عقيدة الناس في البعث والنشور، ويقطع الله ببعثهم حالة التشكك وعدم اليقين التي كان يتلبس بها فريق من الناس.

وفور انتهاء المهمة ضرب الله عليهم النوم مرة أخرى، لينسدل الستار على القصة التي دارت أحداثها في زمن أهل الكتاب، على ظهر مدينةٍ من مدن العالم، لا ندري مكانها ولا نعرف الزمان التي حدثت فيه، ولكن كانت الرسالة فيها واضحةً جليةً...

فالقرآن يقول للصحابة: إذا كان الكفار أرادوا أن يفتنوكم في دينكم، وقد ألجئوكم إلى الفرار والخروج من بلدكم مكة، فإن هناك في الدهر الأول بضعة نفر كانوا أقل منكم عددًا وعدةً وأنصارًا، واضطروا إلى أن يتركوا مدينتهم، وأن يلجئوا إلى «كهف»، أما أنتم فستهاجرون من مدينة إلى أخرى، ومن قوم يضطهدونكم إلى قوم ينصرونكم، وكما ختمت قصة فتية الكهف بالانتصار لهم وبالهداية لقومهم، فالبشارة لكم أيضًا بانتصاركم وظهور دينكم ثم هداية قومكم، والله على كل شيء قدير.

الطليعة الواعدة

رسائل المشهد:

۞ آيات الله الدامغة.

۞ الشباب اليقظ.

۞ الرحمة الخاصة.

۞ التشريف العلوي.

۞ الانطلاقة الفتية.

المشهد الأول
الطليعة الواعدة

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ
كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ
فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا
﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾
نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟
رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ
قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

الرَّقِيمِ: اللوح الذي كُتبت فيه أسماء أصحاب الكهف.

فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ: ألقينا عليهم النوم العميق.

الْحِزْبَيْنِ: يعني الطائفتين المتنازعتين في مدة لُبثهم.

أَمَدًا: مدة محدودة معلومة.

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ: قوينا قلوبهم بالإيمان، وشددنا عزيمتهم به.

شَطَطًا: جائرًا، بعيدًا عن الحق.

رسائل من قلب المشهد:

في هذا الجزء من السورة يفتتح القرآن قصة شباب الكهف، ويوجِّه خطابه للنبي ﷺ فيقول له: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾، ويقول له: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾، والمراد من ذلك: الرد على المشركين واليهود الذين أرادوا اختبار النبي ﷺ لتعجيزه وإحراجه بسؤاله عن أمور حدثت في الدهر الأول لا يعلمها إلا نبي حتى يتأكدوا من صدقه في زعمهم، ومع ذلك لما أجابهم إجابة وافية شافية لم يؤمنوا!

◀ **وتؤكد الآيات في ثنايا عرض القصة على الأصول التي قامت عليها دعوة هؤلاء الفتية**؛ إذ إن التشابه كبير بين قومهم الذين فروا منهم بدينهم وبين كفار قريش، فالكفار الذين بُعث فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يُسَلِّمون بوجود الخالق الرازق المدبر، ومع ذلك كانوا يصرفون العبادة لغيره، ويبدو أن شرك أهل المدينة كان من هذا النوع؛ لذلك ربط الفتية بين الأمرين، واستدلوا بتوحيد الربوبية في قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لإثبات توحيد الألوهية في قولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

وكما بُعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قومه فكذبوه وعاندوه وأخرجوه، كذلك فعل قوم هؤلاء الفتية، لتأتي نقطة التشابه الثانية بين قوم شباب الكهف، وبين قوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكي يستخلص منها المؤمنون عبر التاريخ: أن الصراع بين الحق والباطل سنة جارية، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقدِّر وجود هذا الصراع لِحِكَمٍ يعلمها، منها: أن يتضح الفرق بين الحق والباطل وضوحًا لا لبس فيه، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢]، ومنها وضوح الفرق بين الصادقين والكاذبين كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣].

➤ وتستمر الآيات لترسِّخ في نفوس المؤمنين أهمية التثبيت من الله لقلوب المؤمنين، فقدرة المؤمنين على مواجهة أعدائهم إنما تقوم في الأساس على وجود هذا الاطمئنان في القلب، ومعلوم أن هذا التثبيت وهذه السكينة هبةٌ من الله لأوليائه، لا سبيل للأعداء أن يحصلوا عليها مهما احتموا في قوتهم وحصونهم وعُدتهم.

وتأمل نظائر هذا التثبيت في قول الله عَزَّوَجَلَّ عن أمِّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:١٠]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ عن حال المؤمنين يوم حنين، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:٢٦]، وفي الغار: قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة:٤٠]، وفي الحديبية: قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].

➤ **أما المحور الأخير الذي ذكره القرآن في هذا الجزء من القصة فهو:** الحركة بالدعوة وتبليغ الحق للخلق، رغم قسوة الظروف وشدة البلاء، فقد كان من حكمة ذكر التجربة الدعوية لشباب الكهف أن تكون القصة تسريةً عن قلب النبي ﷺ ومَن معه مِن الصحابة الذين ظلوا يمارسون الدعوة في ظل التضييق والحصار والأذى طوال ثلاثة عشر عامًا، قبل أن يأذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة، وهكذا يتقوّى المؤمنون بإخوانهم عبر التاريخ، حتى وإن لم يروهم، فنحن نحب شباب أهل الكهف ونشهد لهم بالإيمان كما شهد لهم القرآن ونحب سيرتهم ونهتدي بها رغم تباعد السنين، ونسأل الله أن يجمعنا بهم في جنته إخوانًا على سررٍ متقابلين.

١ - آيات الله الدامغة:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾:

بدأت الآيات بداية قوية مزلزلة؛ لأنها جاءت في مقام الرد

على تحدي المشركين واليهود؛ حيث طلب المشركون من اليهود أن يدلوهم على ما يحرجوا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظنًّا منهم أنهم سوف يُظهرون عجزه، وبالتالي يصيبون الدعوة في مقتل، فسوف تنطلق أبواقهم المشبوهة حينها لتعلن هزيمة الدين الجديد، وأنه ليس من عند الله كما يدَّعي صاحب الرسالة.

وقد تمالأ اليهود مع المشركين من أجل الوصول إلى هذا الهدف، فاختاروا لهم نماذج من القصص الأول مما جرى لأهل الكتاب في الأزمان البعيدة -وقد حفظت كتبهم بعض هذه القصص- وجعلوا المعرفة بهذه القصص محلًّا للاختبار، فإذا عرفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رغم عدم شيوع العلم بها وانقضاء زمن حدوثها فهو نبيٌّ يوحى إليه، وإن لم يعرفها فهو كاذب مدّعٍ للنبوة.

وقد تقدَّم في تفسير الآيات: أنَّ الوحي تأخر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيلة خمسة عشر يومًا كاملة، وهي مدةٌ طويلةٌ للغاية، خاصة وأنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدهم بالإجابة بعد يومٍ واحدٍ؛ لذلك حزن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزنًا شديدًا، واغتمَّ لذلك غاية الغمِّ، فالمُتربِّصون به وبدعوته لن يكُفُّوا عن الغَمْز واللَّمْز، ونشر الشائعات، والطعن في الرسالة.

◀ **وقدَّر الله أن يكون هذا التأخر شاهدًا على صدق النبي ﷺ وقدسية رسالته؛** لأنه لو كان يعتمد فيما ينقل من أخبار على الأساطير القديمة كما كانوا يدعون: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ [الفرقان:٥]؛ فلماذا لم يعكُف عليها ليستخرج منها الإجابة بدلًا من أن يُطعن في صدقه؟! ولو كان يعتمد فيما يقول على حَبْرٍ من الأحبار هنا أو هناك؛ فلماذا لم يسأله؟! كما قال الله عنهم: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]، فلماذا لم يهرع إليه ليعرف منه الخبرُ اليقين؟!

لهذه الظروف التي كانت تحيط بالواقعة أراد الله أن يُقْرِع أسماعهم بهذه البداية التي تُسَفِّه مِن سعيهم، وتقلل مِن قيمة حيلتهم، فجاء مطلع الآية بهذا الاستفهام: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ ﴾؟، والمقصود: أحسبت أن أصحاب الكهف ﴿كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾؟! أي: أعجب من بقية آياتنا، فإنَّ إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف؛ لأن في إنامتهم إبقاءً للحياة في أجسامهم، وليس في إماتة الأحياء إبقاءٌ لشيءٍ من الحياة فيهم على كثرتهم وانتشارهم.

ومحل التعجب هو قوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾، أي: مِن بين آياتنا الكثيرة المشاهدة لهم، وهم لا يتعجبون منها، ويقصرون تعجبهم على أمثال هذه الخوارق، فيئول المعنى: إلى أن أهل الكهف ليسوا هم العجب من بين الآيات الأخرى، بل عجائب صنع الله تعالى كثيرة، منها ما هو أعجب من حال أهل الكهف، ومنها ما يساويها، فمعنى «مِنْ» في قوله: «مِنْ آيَاتِنَا»: التبعيض، أي: ليست قصة أهل الكهف منفردة بالعجب مِن بين الآيات الأخرى.

وهذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب، بأنهم سألوا عن عجيب وكفروا بما هو أعجب، وهو انقراض العالم، وفيه نداءٌ على سوء نظرهم إذ يُعلِّقون اهتمامهم بأشياء نادرة وبين يديهم من الأشياء ما هو أجدرُ بالاهتمام»(١).

➤ **والمراد بآياتنا التي ذكرها القرآن في نهاية الآية:** آية من آيات الله المسموعة التي تدلنا على مآل ونهاية الصراع الذي يجري دائمًا بين الحقّ والباطل على ظهر هذه الأرض، ولم يزل هذا الصراع

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٥٩).

قائمًا، ولا بد أن يستوعب أهل الإيمان ذلك، فلا يظن المؤمنون أنهم سيستريحون من مغالبة الباطل وأهله، أو أنهم يتوقفون عن العمل على إظهار الدين والدعوة إليه؛ وذلك لأن هذه المدافعة هي سنة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الماضية في عباده وخلقه.

وهي من آيات الله التي فيها القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة لعباد الله المؤمنين في صبرهم على دينهم، وفيها بشارة لعباد الله المؤمنين بما يئول إليه أمرهم، وبما يحفظهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بآياته العجيبة التي إذا تأملها المتأمل علم عظيم سلطان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرته.

ويبقى هنا أن نشير إلى أمرٍ في غاية الأهمية، وهو: أن الكفار الذين أرادوا اختبار صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يؤمنوا به بعد ما أيقنوا أن ما ينزل عليه وحيٌ من عند الله.

وقد كان الأجدر بهم أن يقبلوا نتيجة التحدي؛ خاصة وأنهم الذين سعوا في هذا التحدي وكانت البداية من عندهم، ومع ذلك استمروا في التكذيب والعناد! وصدق الله إذ يقول: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦].

٢- **الشباب اليقظ:**

قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾:

كونهم أَوَوْا إلى الكهف يدل على أنَّهم هربوا بدينهم، وهاجروا في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، وتركوا وطنهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ عباده المؤمنين بأن يُقدموا حبه، وطاعته على كل شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقد فرَّ الفتية إلى الكهف؛ لأنهم عجزوا عن إقامة الدِّين في أرضهم، ومَن عجز عن إقامة الدين في أرضٍ ما، وجب عليه أن يهاجر إلى أرض غيرها يتمكن فيها من إقامة شعائر دينه، وهذا الأمر باقٍ في كل زمان ومكان طالمًا وُجد بهذه الصفة، فالهجرة لا تنقطع حتى يزول الكفر من الأرض.

وكونُهم أَوَوْا إلى الكهف يدل على أنهم كانوا يريدون مكانًا يؤويهم في بلدهم، وذلك فيه من التعزية لعباد الله المؤمنين إذا شعروا

بالمطاردة والتضييق داخل بلادهم وأوطانهم، وهذا نظير ما أنعم الله به على صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ ﴾ [الأنفال:٢٦].

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ **أن أبطال قصة الكهف كانوا شبابًا**، وهذا يدلنا على أهمية مرحلة الشباب في نصرة الدين، وحمل أعباء الرسالة، وقد ذكر القرآن المرحلة العمرية لهؤلاء الرجال ليكونوا أسوة حسنة للشباب في الثبات على دين الله، والقيام بالدعوة إلى الله، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس:٨٣]، فما آمن مِن المسلمين في زمن موسى إلا قلةٌ من الشباب من أهل مصر، فآمنوا بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رغم الخوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم.

وهكذا كان صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كذَّبه عامة الشيوخ في الوقت الذي تبعه فيه أغلب الشباب، وهذا فيه مؤازرةٌ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن معه مِن الصحابة، فالقرآن يقص عليهم قصة تمثِّلهم وتشرح حالهم، وهذا من دواعي السكينة وانشراح الصدر.

وتأمل الراحة والسكينة التي تنبعث من لفظ الإيواء؛ لتعلم أن معايير السعادة ليست مادية، فكثيرٌ من ساكني القصور يعانون مِن الأمراض النفسية المدمِّرة، وعددٌ لا بأس به من أغنياء أوروبا يلجئون إلى الانتحار سنويًّا، في المقابل ربما تجد فقيرًا يسكن في كوخ صغير يشعر فيه بالسكينة والهدوء، ويعيش حياته راضيًا مسرورًا، وهذه حقيقة لا يختلف عليها أحد، ولكن القيم المادية للحياة المعاصرة تُعمي كثيرًا من الناس عن التدبر في حقائق الوجود.

٣- الرحمة الخاصة:

قال الله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾:

من الفقه الذي أنعم الله به على هؤلاء الفتية أنهم لما أَوَوْا إلى الكهف بادروا بالابتهال إلى الله، ودعوه أن يُؤتيَهم رحمةً من لدنه، أي: من عنده، وهذا أبلغ مما لو قالوا: آتنا رحمة؛ لأنَّ الخلق كلهم بمحل الرحمة من الله، ولكنَّهم سألوه رحمةً خاصةً وافرةً، خصوصًا مع توقعهم وقوع الضرر عليهم، وقصدوا من ذلك الأمن على إيمانهم

من الفتنة؛ ولئلا يلاقوا في اغترابهم مشقةً وألمًا، وأن لا يهينهم أعداء الدِّين فيصيروا فتنة للقوم الكافرين.

ثم سألوا الله أن يقدِّر لهم أحوالًا تكون عاقبتها حصول الثبات على الدين الحق والنجاة من كيد المشركين، فعبَّر القرآن عن ذلك التقدير بالتهيئة التي هي إعداد أسباب حصول الشيء، وكان من مظاهر رحمة الله بهم أن ضرب عليهم هذا النوم الطويل؛ لينجيهم من بطش الظالمين بهم وتسلطهم عليهم، وهذا نظير ما ألقاه الله على الصحابة مِن النوم في غزوة بدر، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١]، وهذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر الله فيه النعاس في القرآن الكريم.

➤ **وما أجمل هذا الدعاء** حين يجعله المؤمن من محفوظاته ومما يعتاده لسانه، فأي خير يمكن أن يحصل للإنسان إذا شملته رحمة الله، وإذا هداه الله إلى أرشد أمرِه!

إن هذا الدعاء له في قلوب المؤمنين لذةٌ خاصةٌ ومنزلةٌ فريدةٌ، إذا ما ترسخ في قلوبهم حقيقته، وأبصرت عيونهم أنهار الخير المتدفقة من بين كلماته.

فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيّض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أي: ألقى عليهم النوم لمدة ثلاث مائة سنة وتسع سنين، فهل كان يظن هؤلاء الفتية أن تغشاهم الرحمة التي التمسوها مِن الله بهذه الطريقة؟! فقد حفظهم الله بهذا النوم من الخوف والقلق والاضطراب، فإذا دعوت الله فكن على يقين بأن رحمة الله واسعة، وأن خزائنه ملأى، وأن عطاياه لا تخطر على قلب بشر.

٤- التشريف العُلوي:

قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾:

➤ **من مظاهر تشريف الله لشباب الكهف:** أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلَّد ذكرهم، واصطفاهم على غيرهم؛ ليجعلهم محل العبرة والعظة، ولكي يبقى ذكرهم في أعظم كتاب أنزله على أكرم رسول، فما أعظمه مِن كهفٍ كان دخولهم فيه عبورًا إلى بوابة عظماء التاريخ!

وهذا التكريم الإلهي مما يبُثُّ الأمل في النفوس ويُعلِّق القلوب بخالقها عَزَّوَجَلَّ، فالعزُّ والتمكين يأتي من عند الله، فقد أهلك الله الملك الظالم واختفى اسمه ورسمه، أمَّا فتية الكهف فقد حفظ الله سيرتهم، وأعلى من شأنهم، وشهد القرآن لهم بالإيمان، وستظل قصتُهم باقيةً للأجيال حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

هذا التكريم الراقي لم يدُرْ بخُلْد فتية الكهف وهم يبتهلون إلى الله أن يشملهم بعطفه ورحمته، ولكنَّ الله واسع الفضل والكرم.

وتأمل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾؛ لتعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل، وأن الإيمان لا يأتي إلَّا بخير، فالفتية آمنوا بالله أولًا فكافأهم الله على هذا الإيمان بأن هداهم إلى أرشد أمرهم، وزادهم هدىً على هدىً، كما وصف الله حال المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧]؛ فذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، وفي مقابل ذلك: ذكر الله حال الكافرين والظالمين فقال: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران:١٧٨]، فسبحان الملك العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة! قومٌ يوفقهم للزيادة مِن الطاعة والإيمان، وآخرون يُمنِّيهم حتى يتوغلوا في الإثم والعصيان.

وفي تأكيد وصفهم بالفتية مدح لهم؛ لأن غالب أحوال الفتيان اللهو والعبث، فكونهم بهذا المستوى من الثبات والإيمان يستوجب مدحهم والإشادة بهم، وهكذا كان هناك في كل أمة شباب يوفقهم الله للإيمان به وتأييد رسله في الوقت الذي يُعرض فيه الرجال الكبار والشيوخ الحكماء.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبابًا، وأما المشايخ من قريش: فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل!»[1].

٥- الانطلاقة الفتية:

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾:

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٧).

المقصود من الربط على القلب هو: تثبيت الإيمان، وعدم التردد فيه، والقيام المذكور في الآية يحتمل أن يكون حقيقيًّا، بأن وقفوا بين يَدَي الملك الكافر، أو وقفوا في مجامع قومهم خطباء معلنين فساد عقيدة الشرك، ويحتمل أن يكون القيام دلالةً على الإقدام والشجاعة، فقد صاروا يدًا واحدةً، وأعان كلٌّ منهم الآخر، وصاروا إخوان صدقٍ، وتوافقوا على كلمة واحدة حتى يتمكنوا من عبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

وتأمل في كلمة: ﴿ وَرَبَطْنَا ﴾؛ لتعلمَ عظيم رحمة الله بهم، فالله هو الذي جمع قلوبهم أولًا على التقوى والإيمان والهدى، ثم جمع قلوبهم ثانيةً على الأُلْفة والمحبة والترابط، ثم جمع قلوبهم ثالثةً على الصَدْع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمع قلوبهم رابعةً في التصدي للكفر ومواجهته، وإقناعه بالحُجَّة والبرهان.

➤ **فالله هو الذي يربط على القلوب ويُقوِّيها، ويثبتها ويصبِّرها، ويشجعها**؛ حتى لا تخاف فيه لومةَ لائم، وحتى تقوم بدعوة الحق، فيصغر الناس في نظر صاحب هذا القلب الشجاع الذي ليس عنده من أسباب الدنيا وأسباب الحماية ما عند الناس، ولا ما يدفع به عن

نفسه، ولكن يربط الله عَزَّوَجَلَّ على قلبه فيقوم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بحقه؛ فلا يعبأ بالخلق أمامه.

إذا علمتَ ذلك؛ فتأكد أنَّ القضية مدارها على القلب، فإذا صلحت قلوب الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ هيأ الله لهم من أسباب النصر والظفر ما لم يدُر في حسبانهم، وإذا صلحت قلوب العاملين من أجل الدِّين؛ فتح الله لهم قلوب العباد لكي تستجيب لهم وتؤمن بدعوتهم.

وإذا تأملت في هذه الآية وما قبلها: تعلم أن الله ربط على قلوب الفتية مكافأةً لهم على إيمانهم وهدايتهم، فهذه القلوب التي جعلها أهلها محلًّا للإيمان والتقوى والصلاح، لابد أن يملأها الله ثباتًا وسكينةً، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الصحابة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح:٤]، بخلاف الكافرين والمنافقين الذين تمتلئ قلوبهم شكًّا وريبةً وترددًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة:٤٥].

➤ **فالله** عَزَّوَجَلَّ **هو الذي يقلِّب القلوب كيف يشاء،** كما قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ**»(١)؛ ولذلك فالعبد المؤمن دائمًا ينظر إلى فضل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ويتضرع إليه بأن يُثبِّت قلبه على دينه، وأن يَربِط على قلبه، كما وصف الله عَزَّوَجَلَّ حال المؤمنين في غزوة بدر، فقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال:١١].

➤ **فالله ربط على قلوب الصحابة حتى قويت وثبتت،** فلم تنهر أو تتزلزل حين رأت الكفار، وانظر إلى الفرق بين قلوب الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ وبين قلوب المنافقين في مثل هذه المعركة وغيرها من المعارك، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن المنافقين في غزوة بدر: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٤٩].

فإذا أردتَ أن تزداد هدىً فأقْبِل على الله، وسوف يقذف الله في قلبك مزيدًا من الخير والصلاح والإيمان

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٦٣٠)، وقال المحقق: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وتأمَّل في فقه هؤلاء الفتية بقضية التوحيد وطرق إثباتها، فإنهم عندما أرادوا أن يقيموا الحُجَّة على قومهم بوجوب وحدانية الله، استدلوا عليهم بما هو مستقرٌ في العقول من باب الفطرة، فالله هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو ربنا وربكم شئتم أو أبيتم، وبالتالي فهو المستحق للعبادة، فكأنَّ المُقدمة هي: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهي مقدمة حتمية، وبالتالي فالنتيجة الملزمة هي: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

كتابي صديقي

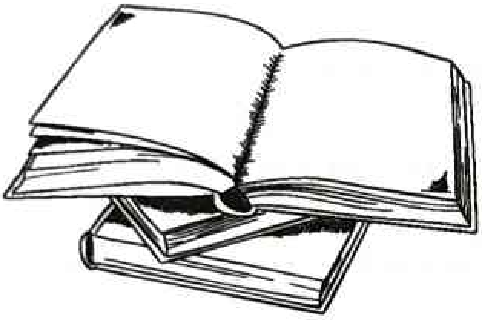

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٩) حتى الآية رقم: (١٥)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_أصحاب_الكهف

 # الطليعة_ الواعدة

فتية الكهف: فتية مجهولون عند الخلق معروفون عند الله، فقد أعلى القرآن ذكرهم وخلَّد سيرتهم إلى يوم الدين، وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ زاخرة بصور التضحية ومليئة بأوسمة البطولة؛ إلا أنه كان لهؤلاء المزية العليا على غيرهم، فصارت لهم رمزية وخصوصية لم يفز بها إلا عدد محدود مِن البشر عبر التاريخ.

نام الفتية في الكهف مدة من الزمن تزيد على ثلاثة قرون، كانت المدينة فيها تغيرت تغيرًا جذريًّا، فالملك الكافر قد هلك،

والمجتمع قد صلح شأنه، وقد أقامهم الله من رقدتهم ليكملوا الحلقة المفقودة في القصة التي يبدو أن أهل المدينة يحفظونها جيدًا، ولكنَّهم لا يعرفون نهايتها بعد.

القرآن يقول للصحابة من خلال الكهف: إذا كان الكفار أرادوا أن يفتنوكم في دينكم، وقد ألجئوكم إلى الفرار والخروج من بلدكم مكة، فإن هناك في الدهر الأول بضعة نفر كانوا أقل منكم عددًا وعدةً وأنصارًا، واضطروا إلى أن يتركوا مدينتهم، وأن يلجئوا إلى كهف؛ أما أنتم فستهاجرون من مدينة إلى أخرى، ومن قوم يضطهدونكم إلى قوم ينصرونكم، وكما ختمت قصة فتية الكهف بالانتصار لهم وبالهداية لقومهم، فالبشارة لكم أيضًا بانتصاركم وظهور دينكم ثم هداية قومكم، والله على كل شيء قدير.

ترسِّخ الكهف في نفوس المؤمنين: أهمية التثبيت من الله لقلوب المؤمنين؛ فقدرة المؤمنين على مواجهة أعدائهم إنما تقوم في الأساس على وجود هذا الاطمئنان في القلب، ومعلوم أن هذا التثبيت وهذه السكينة هبةٌ من الله لأوليائه، لا سبيل للأعداء أن يحصلوا عليها مهما احتموا في قوتهم وحصونهم وعُدتهم.

قدَّر الله أن يكون تأخر الوحي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاهدًا على صدقه، وقدسية رسالته؛ لأنه لو كان يعتمد فيما ينقل من أخبار على الأساطير القديمة كما كانوا يدعون: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان:٥]؛ فلماذا لم يعكُف عليها ليستخرج منها الإجابة بدلًا من أن يُطعن في صدقه؟! ولو كان يعتمد فيما يقول على حَبْرٍ من الأحبار هنا أو هناك فلماذا لم يسأله؟! كما قال الله عنهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣]؛ فلماذا لم يهرع إليه ليعرف منه الخبرُ اليقين؟!

تأمل الراحة والسكينة التي تنبعث من لفظ الإيواء في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾؛ لتعلم أن معايير السعادة ليست مادية، فكثيرٌ من ساكني القصور يعانون من الأمراض النفسية المدمِّرة، وعددٌ لا بأس به من أغنياء أوروبا يلجئون إلى الانتحار سنويًّا، في المقابل: ربما تجد فقيرًا يسكن في كوخ صغير يشعر فيه بالسكينة والهدوء، ويعيش حياته راضيًا مسرورًا.

في جوف الكهف

رسائل المشهد:

- العزلة الاضطرارية.
- الفرار الواجب.
- الرحمة الواسعة.
- قانون الهداية.
- العناية الربانية.

المشهد الثاني

في جوف الكهف

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

مِرْفَقًا: أي ما ترتفقون وتنتفعون به.

تَزَاوَرُ: أي: تميل. **تَقْرِضُهُمْ**: تتركهم وتتجاوز عنهم.

فَجْوَة: مُتَّسعٍ. **الْوَصِيد**: فناء الكهف.

رسائل من قلب المشهد:

في هذا الجزء من القصة يدور حوارٌ بين الفتية حول ضرورة الفرار بدينهم من الفتن؛ حيث عجزوا عجزًا تامًّا عن إحداث تغيير في المجتمع الذي عَلَت فيه راية الكفر الصريح، وأصبحوا غير مُمكَّنين من إقامة شعائر دينهم، وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن، أن يفر العبد خوفًا على دينه، كما جاء في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**»[(١)]، ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها من الأحوال التي يرجى من ورائها تحقيق النفع ونشر الهداية.

➤ **والظاهر من سياق القصة**: أنَّ واقع هؤلاء الفتية يختلف عن واقع غلام الأخدود؛ فقد كان قتل غلام الأخدود سببًا في دخول الناس في الإيمان، وقد قال الناس جميعًا: «**آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**»[(٢)]

(١) رواه البخاري (١٩).
(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥).

عندما رأوه يُقتل بالطريقة التي أرشد الغلام الملك إليها، ولكن واقع المجتمع هنا أنَّه منغمس في الكفر بحيث لا يؤثر فيه قتل بضعة نفر مرقوا عن الدين في ظنهم وخرجوا عن ملة الجماعة، والله أعلم هل كان فرار هؤلاء الفتية بإلهامٍ مِن الله أم باجتهادٍ منهم وفق ما عايشوه من ظروف الواقع وموازين القوى؟

ولا يخفى أن مفارقة الأهل والأوطان، والانتقال إلى العيش في كهفٍ في جوف الصحراء ليس بالأمر الهين؛ بل يحتاج إلى عزيمة قوية، وتضحية كبيرة، وثبات، وتمسك بالعقيدة، وهذا ما وفَّق الله فتية الكهف إليه.

وإذا استصحبنا ما ذكره بعض المفسِّرين من أنَّ هؤلاء الفتية كانوا أبناء ملوك أو أغنياء لعلمنا مقدار الفتنة التي أصابت هؤلاء الشباب؛ فلو لم يكن لديهم إيمانٌ عميقٌ بالله تعالى لما صبروا على حياة الكهوف بعد أن عاشوا حياة القصور!

ومن جميل لطف الله ورحمته بهم: أنه سلَّط عليهم النوم، فلم تذكر لنا الآيات معاناتهم في الصحراء حيث لا طعام ولا شراب،

ولا أمن، ولكن القرآن تجول بنا داخل الكهف ليدلل على علامات حفظ الله للفتية ورعايته لهم في أثناء نومهم، وكأن الله سخر الكون لخدمتهم وحمايتهم.

١- العزلة الاضطرارية:

قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾:

الظاهر أن هذا من كلام بعضهم لبعض على سبيل النصح والمشورة بعد التأكد من عدم قدرتهم على إقامة شعائر دينهم، وعدم تمكُّنِهم من إحداث أثر في المجتمع، فلم يأخذ الفتية قرارًا بالاعتزال لمجرد أن وجدوا مِن قومهم ممانعةً لدعوتهم، فوجود الشرّ لا يسوغ للإنسان أن يعتزل المجتمع، ولكن الواجب عليه أن يعتزل ما هم عليه مِن الشرِّ؛ ذلك أن اعتزال الشر نفسه فرضٌ على كل أحدٍ، ولا عُذر لأحدٍ أن يفعل الشرَّ بزعم أنه يريد أن يكونَ مع الناس، أو أنَّ الناس يضغطون عليه، أو أنَّه يخجل منهم إلا أن يكون مكرهًا.

➤ **ومِن شروط الإكراه الشرعي المعتبر**: أن يكون عاجزًا عن التخلُّص ولو بالفرار، وإذا استطاع أن يفر منهم لم يكن مكرهًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ

ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد اعتزل إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قومه، فقال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم].

وكذلك اعتزل نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قريشًا لما آذوه وجفَوه، ودخل الشِعْبَ، وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة، ثم لحقوا به الى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته، وهذا أيضًا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم؛ فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يعتزل المسلمين، ولا مَن توقع إسلامه مِن الكفار.

➤ **أما إذا تمكن الإنسان من نشر الخير**، فلا بد أن يخالط الناس حتى يدعوهم إلى الهداية والصلاح؛ وإلَّا فلو أن كل شر ظهر في

مكانٍ ما، تركه أهل الصلاح واعتزلوه؛ فمتى يظهر الحق؟! وعلى يد مَن تنتشر الدعوة؟!

والأنبياء جميعًا قد أقاموا زمانًا في أقوامهم، وقد كان الشرك مستعليًا مستعلنًا ظاهرًا في الناس، وهم يدعون الناس إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإلى نبذ الشرك والأوثان، فكانت إقامتهم هي المصلحة الراجحة على مفسدة الإقامة وسط الكفار، وإلا لما أُنْقِذ أحد مِن الشرك، ولو كان الرسل أول ما واجهوا الشرك والكفر رحلوا وفارقوه، لما اهتدى أحد من أقوامهم، فلا بد أن يعيش الدعاة بين الناس حتى يبلغوهم دعوة الحق.

٢- الفرار الواجب:

قال الله تعالى: ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾:

نتعلم من فتية الكهف منهجية الإيواء إلى الكهف وقت اشتداد الفتن وتسلط الظالمين؛ فلم يكن الفرار في هذا الوقت نوعًا من الجبن أو الضعف، ولكنه كان مِن أجل الحفاظ على الدعوة الوحيدة من أن تُستأصل في مهدها، وقد قصَّ علينا القرآن أمر الله عَزَّوَجَلَّ لبني إسرائيل عندما خافوا من بطش فرعون، فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ

مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٨٧]، وهذا نوع من الإيواء إلى الكهف يناسب طبيعتهم وظروف بيئتهم.

وقد مدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما تمكن من الانسحاب بالجيش في سرية مؤتة، ولم يوافق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تسمية ما فعلوه فرارًا مذمومًا، فقال مدافعًا عنهم: «**لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(١).

➤ **من هنا نعلم** أنه ليس هناك في الشرع شيء يُسمَّى مواجهة الرصاص أو القوة الغاشمة بصدورٍ عاريةٍ! فالشريعة لم تشرع للناس أن يموتوا مِن أجل الموت فقط، دون إحداث نكاية أو تحقيق نصر، بل إن دماء المؤمنين غالية، ولا يجيز الشرع لأحدٍ أن يريقها بلا ثمن.

ولنتأمل في موقفين مهمين من سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنستلهم منهما هذا المنطلق التأسيسي في فقه التعامل في أوقات الاستضعاف.

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٧٤).

أما الأول: فهو موقف سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي تُعذَّب في صحراء مكة حتى قتلها أبو جهل بحربة في موضع عفتها، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمر عليها ويراها وهي تعاني من شدة العذاب والألم مع زوجها وابنها، فلا يزيد عن قوله: «**صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»(١).

أما الثاني: فهو موقف المرأة المسلمة التي كانت تبيع في سوق المدينة، فاحتال يهودي خبيث ليكشف سوأتها، فغافلها وربط طرف ثوبها حتى إذا قامت انكشفت عورتها، وقد كان رد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك أن جرَّد جيشًا لتأديب اليهود في غزوة بني قينقاع.

السؤال هنا: ترى ما الفرق الحاسم والجوهري الذي جعل النبيَّ صلى الله عليه يقول في الموقف الأول لامرأةٍ ضعيفة تُعذَّب أمام عينيه: «صبرًا»، ثُمَّ جعله في الموقف الثاني يقيم حربًا، مع أن المقارنة الظاهرية تقول: إنَّ الموقف الأول أكثرُ إجرامًا وأشد ألمًا على النفس من الموقف الثاني؟!

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٦٤٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٥٥٩١): «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في «فقه السيرة» (ص١٠٣).

الإجابة القاطعة: إنها موازين القوى المتفاوتة بين القدرة والعجز، والقوة والضعف؛ وإلَّا فهل يمكن لأحدٍ أن يتهم النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتخاذل أو التواني عن نصرة المسلمة الضعيفة؟! كلَّا... وحاشاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➤ **هذا مثال للضوابط الشرعية التي يأنف منها بعض المتهورين،** عندما تُكبِّلهم تلك الضوابط عن اختياراتهم السياسية أو توجهاتهم المتطرفة، مع أنها ضوابط موافقة للعقل البشري السليم، والدليل على ذلك أنهم لا يسعهم إلا التسليم بهذه الضوابط في مواقف أخرى، وهنا تبدو الازدواجية والانتقائية مع قواعد الشرع وأدلته!

➤ **ومما يجمل أن تتعلمه من منهجية الإيواء أن تصنع كهفك الخاص بك،** فالحياة تحتاج إلى قدرٍ مِن العزلة تخلو فيه بربك، وتجدد فيه إيمانك، وتحاسبك نفسك على ما فات، وترتب أوراقك لما يأتي، وإلا فمشاغل الحياة كفيلة بأن تلتهم منك عمرك دون أن تشعر، حتى مَن يشغل وقته بالدعوة والحركة من أجل تعبيد الناس لربهم لابد له من خلوة يستجمع فيها أنفاسه، ويشحن فيها قلبه بالوقود

الإيماني المتجدد؛ لذلك كان يحرص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان تحقيقًا لبعض هذه الأهداف.

٣- الرحمة الواسعة:

قال الله تعالى: ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ۝١٦ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

ما أجمل شعور الإنسان وهو يحسن الظن بربه عَزَّوَجَلَّ، ويشعر بعظيم منه وواسع فضله وكرمه! فرغم وجود الفتية في جوف كهف ضيق؛ إلا أنهم يشعرون فيه بسعة وسكينة وراحة، وتأمل في كلمة: «يَنْشُرْ»؛ لتوحي لك بالاتساع والرحابة، حتى يكاد يُخَيَّل إلى السامع أنهم يعيشون في قصرٍ منيفٍ، وفناءٍ واسعٍ.

➤ **والكهف ضيق مظلم، فيه شدة، ومع ذلك رجوا فيه الرحمة والرفق من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ذلك أنَّهم لما تركوا حياتهم المُنَعَّمة لله، وعظَّموا رجاءهم بأن الله يعوضهم خيرًا مما تركوه لأجله، أعطاهم

الله خيرًا منه، ونشر لهم من رحمته، ووسّع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم، وكتب لهم رحمته في الدنيا والآخرة.

هؤلاء هم الفتية الذين ابتهلوا إلى الله قبل ذلك في دعائهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾ ، والآن انتقلوا من حال الدعاء والطلب إلى حال اليقين والثقة بالله أنه سيفعل ذلك، ولا شك أن الله نشر لهم من رحمته، وهيأ لهم من أمرهم مرفقًا، فحفظ أديانهم وأبدانهم، وجعلهم من آياته على خلقه، ونشر لهم من الثناء الحسن، ويسَّر لهم كل سبب، حتى الكهف الذي ناموا فيه، كان على غاية ما يُمكِن من الرعاية والتعايش؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

أي: حفظهم الله من الشمس، فإذا طلعت تميل عنهم يمينًا، وعند غروبها تميل عنهم شمالًا، فلا ينالهم حرها فتفسد أبدانهم بها، وفي نفس الوقت هم في مكان متسع من الكهف، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم التأذي بالمكان الضيق، خصوصًا مع طول المكث، وذلك مِن آيات الله الدالة على قدرته ورحمته بهم.

٤- قانون الهداية:

قال الله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾:

فلا سبيل إلى نيل الهداية إلا مِن الله عَزَّوَجَلَّ، فهو الهادي المرشد الذي يتولى العبد ويتولى شأنه بالإصلاح، والذي يرشده إلى الهداية وإلى أسباب التوفيق والخير في دنياه وأخراه، فمَن أضله الله فلن تجد له وليًّا مرشدًا. وهذا نظير قول الله عَزَّوَجَلَّ في سورة الإسراء: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٩٧].

وهذه الآية تمثِّل قانونًا من قوانين الله في الكون؛ فالهداية مِن الله عَزَّوَجَلَّ، وقد جعل الله لها أسبابًا خاطب بها العباد، فمَن سلك سُبُل الهداية نال جزاء ذلك رحمة وتوفيقًا وإسعادًا، ومَن هجر طُرُق الهداية وسَلَك سبل الغواية والفساد فقد خسر هذه الولاية وحُرِم هذه الرعاية، وصار في عداد الضالّين التائهين الذين تَسَلَّط عليهم الشيطان فأبعدهم عن طريق الله، وطردهم من كنفه وتوفيقه.

والشق الأول من هذا القانون: يتمثل في قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾، فلا تتعالى على غيرك بما مَنَّ الله به عليك، ولا تغتر أيها المهتدي بشيء من الطاعات وفقك الله إياه، وتمثَّل قول الصحابة في غزوة الخندق وهم ينشدون على لسان عبد الله بن رواحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

اللَّهمَّ لولا أنتَ ما اهتدَيْنا

ولا تَصدَّقنْا ولا صَلَّيْنا

فأَنزِلَنْ سَكينةً علَيْنا

وثبِّتِ الأقدامَ إنْ لاقَيْنا

أما الشق الثاني من هذا القانون: فيتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، وهذا أيضًا من مواطن شكر النعمة وشهود فضل الله عليك، فالهداية ليست ذكاءً منك ولا إمكانيات ذاتية لك، فكثير مِن الخلق أكثر منك ذكاءً، وأوسع منك عقلًا ولم يُوفقوا للهداية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

٥- العناية الربانية:

قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾:

الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ أولياءه بجنودٍ من عنده عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩]، وقال تعالى مخاطبًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠]، وكما حوَّل العصا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ثعبان التقم ما فعله سحرة فرعون فقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف:١١٧]، وقال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩]، فقوانين الكون الطبيعية يعطِّلها الله عَزَّوَجَلَّ إذا شاء، كرامة لعباده المؤمنين.

➤ **وفي هذه القصة نجد**: أن الله حفظ هؤلاء الفتية بأن جعل الشمس تدخل عليهم عند الشروق وعند الغروب، فتضيء لهم الكهف دون أن تحرق أجسادهم، ثم إنه قلَّب أجسامهم يمنة ويسرة حتى لا تأكلها الأرض، وجعل الكلب على هيئته المعتادة في التهيؤ والتحفز حتى لا يقترب أحدٌ مِن الكهف، ومع كل هذا جعل هيئتهم مرعبّةً لمن يراهم، فجعل أعينهم مفتوحةً شاخصة البصر كأنهم ينظرون بحدة، والحقيقة أنهم نائمون!

خلاصة الأمر: أن الله سخَّر الكون لخدمتهم، وهيَّأ لهم مِن الظروف ما جعله سببًا في حفظهم ونجاتهم.

ورغم أن الله عَزَّوَجَلَّ قادرٌ على تحقيق هذه النتائج بلا أسبابٍ؛ إلا أنه جعل لكل شيء سببًا، فجعل مَيَلان أشعة الشمس سببًا في حفظ أبدانهم من الاحتراق، وجعل تقليب أجسامهم سببًا في حفظها من التآكل، وجعل الكلب سببًا في الحراسة، وجعل في شخوص أبصارهم سببًا في وقوع الرعب لمن ينظر إليهم.

وهذا درس بليغ لكل مَن يقرأ هذه القصة، فما على العبد إلا أن يأخذ بالأسباب المتاحة، والله عَزَّوَجَلَّ يتولى أمر النتائج.

وقد كتب الله على هؤلاء الفتية المؤمنين هذه النومة رحمةً بهم، وإنجاءً لهم من القوم الظالمين الكافرين، وحكمة بالغة تدل الناس على البعث والنشور، وإثبات قدرة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على إحياء الموتى بعد موتهم يوم القيامة، وكذلك ليثبت سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للناس وليبيِّن لهم مآل المتقين، وحفظه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لهم من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

➤ **وهذه القصة تدل على إثبات كرامات الأولياء بأنواع القدرة والتأثير،** فإن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أبقاهم هذه المدة الطويلة من غير أن تبلى أجسادهم أو تفسد، وهذا من أدلة إثبات كرامات الأولياء.

والكرامة هي: ما يُكرم الله به عبده المؤمن المتَّبع لشرعه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مِن أنواع خوارق العادات أو من غيرها، ولا يلزم أن يكون إكرامُه من خوارق العادات، بل أعظم ما يكرم به العبد: أن يُكرَم بالتوفيق إلى طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يلهم رشده، وأن يكشف له عن سبيل الحق فيلتزمه.

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد يجمع لعبده المؤمن بين أنواع الكرامات المختلفة من أنواع العلوم، ومن أنواع القدرة، وأعظم ذلك: أن

يكون موفقًا بقوة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى طاعته، وهو معنى الحديث الشريف: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»(١)، فالله عَزَّوَجَلَّ يعينه بقوةٍ مِن عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتكون هذه الجوارح وهذه القوة مصروفة في مرضاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

كتابي صديقي

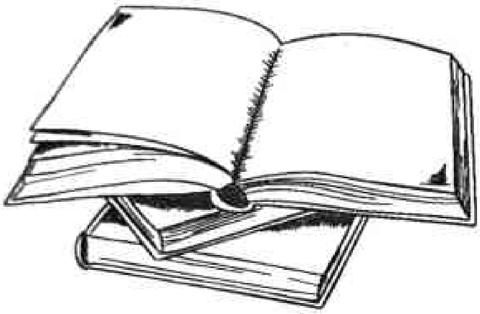

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (١٦) حتى الآية رقم: (١٨)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

قصة_أصحاب_الكهف

في_جوف_الكهف

فتيـة الكهـف: ماتـوا في كهفهم، لم يُزَجّ بهم في السـجون، ولم يُعلَّقـوا عـلى أعواد المشـانق، ولكـن جعل الله مِـن قصتهم عبرة للأجيـال بعدهم في أن التغيير بيد الله والهدايـة من عند الله، فالدعاة إلى الله ينالون من خلال الدعوة شرف اللقب وشرف المهمة، ولكن الله وحده هو مالك القلوب، وبيده الأمر كله.

لا يخفى أن مفارقة الأهل والأوطان، والانتقال إلى العيش في كهفٍ في جوف الصحراء ليس بالأمر الهين؛ بل يحتاج إلى عزيمة

قوية، وتضحية كبيرة، وثبات وتمسك بالعقيدة، وهذا ما وفَّق الله فتية الكهف إليه.

من جميل لطف الله ورحمته بفتية الكهف: أنه سلَّط عليهم النوم، فلم تذكر لنا الآيات معاناتهم في الصحراء حيث لا طعام ولا شراب، ولا أمن، ولكن القرآن تجول بنا داخل الكهف ليدلل على علامات حفظ الله للفتية ورعايته لهم في أثناء نومهم، وكأن الله سخر الكون لخدمتهم وحمايتهم.

نتعلم من فتية الكهف منهجية الإيواء إلى الكهف وقت اشتداد الفتن وتسلط الظالمين، فلم يكن الفرار في هذا الوقت نوعًا من الجبن أو الضعف، ولكنه كان من أجل الحفاظ على الدعوة الوحيدة من أن تُستأصل في مهدها.

فرار فتية الكهف يعلمنا: أنه ليس هناك في الشرع شيء يُسمَّى مواجهة الرصاص أو القوة الغاشمة بصدور عارية! فالشريعة لم تشرع للناس أن يموتوا من أجل الموت فقط، دون إحداث نكاية أو تحقيق نصر، بل إن دماء المؤمنين غالية، ولا يجيز الشرع لأحدٍ أن يريقها بلا ثمن.

البعث بعد النوم

رسائل المشهد:

- الترفُّع عن الجدل.
- سفير الجماعة.
- أرسل حكيمًا ولا توصه.
- منهجية التلطف.
- الغيب المخبوء.

المشهد الثالث

البعث بعد النوم

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

بِوَرِقِكُمْ: بدراهم الفضة. **يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ**: يَطَّلِعُوا.

رسائل من قلب المشهد:

➤ **في هذا الجزء مِن القصة يحكي القرآن مشهد الفتية بعد ما** قاموا من نومتهم، ودار بينهم حديث مقتضب حول المدة التي مكثوا فيها داخل الكهف، وكعادة النائم فإنه مهما يغيب في النوم؛ فإنه يتوقع أن يكون نام جزءًا من اليوم، أو اليوم كله على أقصى تقدير.

قام الفتية من نومتهم فلم يجدوا داخل الكهف أيَّ مقوماتٍ للحياة؛ فليس معهم طعام ولا شراب، وليس أمامهم وسيلة يحصلون منها على ما يحتاجونه من الطعام سوى الرجوع إلى المدينة التي خرجوا منها فارين بدينهم، ومِن ثَمَّ انتدبوا منهم رجلًا لكي يرسلوه إلى المدينة ليشتري لهم الطعام، وقد أوصوه بوصيةٍ جامعةٍ اختصرها القرآن في قوله: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾، وذكروا عِلَّة هذه الوصية، وهي أن قومهم متى شعروا بهم أو علموا مكانهم فلن يتركوهم حتى يعودوا إلى الكفر الذي هم عليه، أو يكون مصيرهم القتل.

١- الترفُّع عن الجدل:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾:

➤ **الترفُّع عن الجدل يجب أن يكون صفةً لازمةً للدعاة إلى الله؛** لأن الجدل يحرق الأوقات بلا طائل، كما أنه يُنهِك صاحبه، ويستنفد قواه العقلية والنفسية، وأقبح أنواع الجدل: تلك المناقشات التي

تغيب عنها البيِّنات والحقائق، ويكثر فيها الادّعاء بلا علم، وتنشأ من جرّاء ذلك الأحقاد والضغائن؛ لذا يأتي التنبيه على نفس المعنى في قول الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعَّف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلًا لَرَدَّه كما ردَّهما، ثم أرشد إلى أن الاطِّلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون مِن ذلك إلا رجْم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف؛ أن تُستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبَّه على الصحيح منها، ويُبطَل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم»[(١)].

٢- سفير الجماعة:

قال الله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾:

ما أجمل الروح الأخوية التي تسود هذا الفريق من الشباب، فبعد أن توقَّفُوا لبُرْهة أمام مدة نومهم، انتقلوا بعدها مباشرة إلى تدبير أمور حياتهم، والنظر في شئونهم، وكان أكثر هذه الشئون إلحاحًا هو احتياجهم إلى الطعام والشراب لكي يواصلوا العمل، وتقوى أبدانهم على البذل والعطاء.

إنَّ الفريق الذي يكثر فيه الكلام، ويشيع فيه الخلاف، يقل فيه العمل ويدبُّ إليه الفشل.

وتلمح من السياق معنى آخر من معاني قوة هذا الفريق من الشباب، وهو المرونة والسلاسة والتواضع، فلم يختلفوا فيمن

(١) «مقدمة في أصول التفسير» (ص٤٣).

يذهب لشراء الطعام، فالكل في هذا الأمر سواء، فمن يقع عليه الاختيار يقوم بالمهمة دون جدل أو نقاش، ورغم أن المهمة ثقيلةٌ ومحفوفةٌ بالمخاطر؛ إلا أنَّ ذلك الأمر لم يُعره أحد منهم اهتمامًا؛ بل كان الامتثال وسرعة التنفيذ سمة مَن سيؤدي العمل.

وهذا السلوك خير تطبيق لقول النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ**»(١).

والظاهر مِن السياق كذلك: أنَّهم قد أمَّروا عليهم أحدهم، ولا يخفى أن شريعتنا جاءت بهذا التوجيه النبويّ الراقي، كما قال صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**»(٢).

وفي قولهم: «**أَحَدَكُمْ**»: دليل على قدرة أي أحد منهم على القيام بالمهمة، وهذا من علامات قوة الفريق، حيث يعطي هذا الأمر إمكانية توفر بدائل متكافئة للمهمة الواحدة، وهذا يؤدي إلى استمرارية العمل، وعدم توقفه على فردٍ بعينه.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٨٧).
(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٥٠٠).

٣- أرسل حكيمًا ولا توصه:

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾:

الأعمال الجماعية الناجحة لابد أن تعتمد على التفويض كمبدأ مهم من مبادئ العمل.

والملاحظ هنا: أن الفتية اعتمدوا هذه الطريقة في التكليف حيث وضَّحوا للشخص المكلف بأداء المهمة ما هو المطلوب منه بشكل عام، وهو أنهم يريدون طعامًا زكيًّا، وتركوا له تقدير الكمّية، وتحديد الأنواع، وغيرها مِن الأمور الفرعية.

إن هذه الطريقة في العمل هي التي تصنع الرجال وتربي القادة، والقائد الذي لا يستخدم التفويض في إدارته للفريق يُقَزِّم من قدراتهم، ويُحِدّ من كفاءتهم، والمؤلم في ذلك أَنَّه سوف يفتقدهم في المواقف المهمة التي يحتاج فيها إلى مَن يقوم مقامه، فينظر يمينًا ويسارًا فلا يجد إلا شخصيات مهتزة، لم تعتد أن تأخذ قرارًا أو تتحمل مسئولية.

➤ **وفي تأكيدهم على أن يكون طعامهم من ﴿أَزْكَىٰ﴾ الطعام**: دليل على حرصهم وتحريهم لطلب الرزق الحلال، وهذا أثر

من آثار إيمانهم بالله وطاعتهم له، فالمعاملات والسلوك لا تنفصل عن العقائد والعبادات، فلا يليق بهم أن يكونوا في باب المعاملات مفرطون متهاونون، بينما في باب الدعوة أو العلم متقدمون، فالسوك مرآة الفكر، والعمل ترجمة وتعبير عما في القلب.

٤- منهجية التلطف:

قال تعالى: ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾:

➤ **اللطف** هو التعامل بخفاء، وفي مثل حال أصحاب الكهف لا بد أن يستعينوا على قضاء حاجتهم بالكتمان؛ حتى لا يُفتضح أمرهم ويُردُّوا إلى قومهم، فالكتمان مطلوبٌ في هذا الموضع، وهو من الحذر الواجب، ومن الأخذ بالأسباب، وليس من الشجاعة أن يعلن قلةٌ من الضعفاء أمرَهم أمام جيشٍ مِن الأقوياء، وليس مِن الجبن أن يكونوا مختفين عن أعين الظالمين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص:٢١].

فالإنسان إذا كان في خطرٍ فينبغي له أن يكون متلطفًا وألَّا يُظهر نفسه حتى لا يَكشف أعداؤه أمره، وفي الكتمان من المصالح ما

لا يُحصى كثرة إذا استُعمِل في موضعه، وتأمّل وصية النبي ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما أرسله ليستكشف خبر المشركين في غزوة الخندق فقال له: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، يقول حذيفة: «فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ»[1].

وهذا الفعل من حذيفة رضي الله عنه خير تطبيقٍ لمنهجية التلطف.

٥- الغيب المخبوء:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا إِذًا أَبَدًا ﴾:

أي: أنهم إن ظهروا عليهم فهم بين أمرين: إمَّا الرجم بالحجارة، فيقتلونهم أشنع قتلةٍ، لحنقهم عليهم وعلى دينهم، وإمَّا أن يفتنوهم عن دينهم، ويردُّوهم في مِلَّتهم، وفي هذه الحال، لا يفلحون أبدًا، بل يخسرون في دينهم ودنياهم.

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٨).

وقد كان هذا هو مَبْلغُ علم الفتية في ذلك الوقت، ولكنَّهم لا يعلمون أن مَن يتحدثون عنهم أصبحوا أثرًا بعد عين، فلا الناس هم الناس، ولا المدينة هي المدينة، فلم يعد للظالمين ذكر ولا لمُلِكهم أثر، وهذا الأمر فيه درسٌ تربويٌّ عظيم نتعلم منه كيف يكون تأدبنا مع الله، وكيف يكون اعترافُنا بضعفنا وعجزنا وقلة حيلتنا، ونتعلم كيف ينخلع الإنسان من حولِه وقوته ليكون في كنف الله ورعايته، فيشهد بقلبه قبل أن ينطق لسانه أنه: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

كتابي صديقي

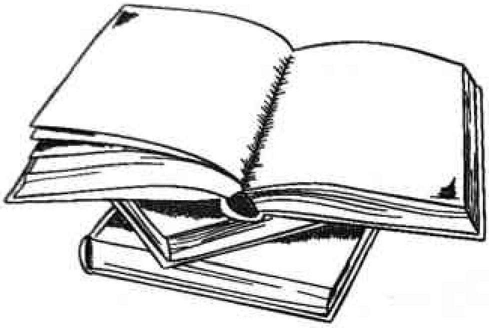

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (١٩) حتى الآية رقم: (٢٠)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_أصحاب_الكهف

 # البعث_بعد_النوم

الترفُّع عن الجدل يجب أن يكون صفةً لازمةً للدعاة إلى الله؛ لأن الجدل يحرق الأوقات بلا طائل، كما أنه يُنهِك صاحبه ويستنفد قواه العقلية والنفسية، وأقبح أنواع الجدل: تلك المناقشات التي تغيب عنها البيّنات والحقائق، ويكثر فيها الادّعاء بلا علمٍ، وتنشأ من جرّاء ذلك الأحقاد والضغائن.

الكهف تقول لنا: إنَّ الفريق الذي يكثر فيه الكلام، ويشيع فيه الخلاف، يقل فيه العمل ويدبُّ إليه الفشل.

الكهف تقول لنا: إن اعتماد مبدأ التفويض المنضبط في الأعمال الجماعية هي التي تصنع الرجال وتربي القادة، والقائد الذي لا يستخدم التفويض في إدارته للفريق يُقَزِّم من قدراتهم، ويُحِدّ من كفاءتهم، والمؤلم في ذلك أنَّه سوف يفتقدهم في المواقف المهمة التي يحتاج فيها إلى مَن يقوم مقامه، فينظر يمينًا ويسارًا فلا يجد إلا شخصيات مهتزة، لم تعتدْ أن تأخذ قرارًا أو تتحمل مسئولية!

العودة إلى الكهف

رسائل المشهد:

- المهمة الكاشفة.
- التكريم الدنيوي.
- المشيئة أولًا.
- التغيير في ظل غياب الفتية.

المشهد الرابع

العودة إلى الكهف

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

بيان معاني الكلمات:

أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ: أطلعنا عليهم أهل بلدهم وزمانهم.

الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ: أصحاب النفوذ فيهم.

رَجْمًا بِالْغَيْبِ: قولًا بالظن مِن غير دليل.

فَلَا تُمَارِ: لا تجادل.

مِرَاءً ظَاهِرًا: جدالًا لا عمق فيه بأن تتلو ما أوحي إليك.

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ: إلا أن تعلِّق قولكَ بالمشيئة، فتقول: إن شاء الله.

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ: ما أشدَّ بصر الله بكل شيء، وسمعه لكل شيء.

رسائل من قلب المشهد:

◀ في هذا الجزء من القصة يُنهي القرآن مشهد فتية الكهف بتقرير عقيدة البعث التي كان فريق من أهل القرية يشكك في أمرها، وها هم الناس يرون بأمِّ أعينهم مثالًا عمليًّا للبعث بعد النوم الطويل الذي هو أشبه ما يكون بالموت؛ بالإضافة إلى تقرير القرآن لحقيقة أنَّ النصر في الجولة الأخيرة يكون للمؤمنين، فقد زال حكم الملك الكافر، وتغيَّرت عقائد الناس، فبعد أن كان المجتمع

يطاردهم ليردَّهم عن دينهم أو يطلبهم للقتل، ها هم يقفون على كهفهم ليتجادلوا في الطريقة التي يُكرمون بها هؤلاء الفتية ويخلدون بها ذكرهم.

ورغم غلبة رأي أهل السلطان في نهاية الأمر؛ إلا أن هذا الخلاف الدائر بين الفريقين يدل على تغيُّر المجتمع بالفعل، فلم يعد هناك حديث حول: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ﴾، ولكن الحديث يدور هنا حول مدى مشروعية بناء المساجد على القبور من أجل تكريم أصحابها، وهذا أمر مجزوم بحرمته والنهي عنه في شريعتنا؛ أما في شريعتهم: فيبدو أنه كان محرمًا أيضًا؛ لأنَّ القرآن عبَّر عن هذا الرأي الذي مال إلى بناء مسجد عليهم بأنه رأي ﴿ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ ﴾؛ هذا بالإضافة لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1]؛ فدلَّ ذلك على أنه كان محرمًا في شريعة اليهود والنصارى أيضًا.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٣)، ومسلم (٥٣١).

➤ **إن عودة أهل الكهف إلى المدينة بعد هذه المدة الطويلة لتذكرنا** بعودة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته إلى مكة في يوم الفتح الأعظم، حيث خرجوا مطاردين فارين بدينهم إلى كهفهم الجديد «يثرب» ومكثوا فيه عشر سنوات كاملة، ثم قدَّر الله لهم أن يعودوا إلى مدينتهم القديمة منتصرين فاتحين يحطمون الأصنام ويكسرون عروش الكفر، ولا شك أن الله رفع صحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المكانة العليا والمنزلة الأسمى، فعادوا يوم أن عادوا حاملين ألوية الدعوة ونشر الدين والرسالة؛ لأن المهام الثقيلة كانت في انتظارهم منذ ذلك اليوم، وقد انطلقوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في ربوع الأرض بعد ذلك حتى حكموا أغلب الأجزاء المعمورة من الأرض في سنوات معدودة.

١ - المهمة الكاشفة:

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾:

بعث الله في أجساد الفتية الحياة بعد هذا النوم الطويل؛ لا ليعمِّروا في الحياة، ولكن ليؤدوا مهمة محددة، هي: إثبات قدرة الله على البعث بعد الموت، فقدَّر الله ببعثهم مِن نومهم إصلاح

عقيدة النـاس في أمر البعث، فأيقن هؤلاء المرتابون أنَّ وعد الله حق لا شـك فيـه، ولا مرية، بعد ما كانـوا يتنازعون بينهـم أمرهم، فمن مثبت للوعد والجزاء، ومِن نافٍ لذلك، فجعل قصتهم زيادة بصيرة ويقـين للمؤمنين، وحجةً على الجاحدين، وهكـذا يقدِّر الله المقادير، ويسـبب الأسـباب؛ إقامـةً للحجـة عـلى عبـاده، بإظهـار البراهـين الواضحة والآيات الكاشفة.

ولعل هذا الارتياب من بقايا الحكم الوثني الذي ظل جاثمًا على صدورهم مدة طويلة من الزمن، ورغم أن غالبية القوم قد آمنوا بدين الفتية السماوي الذي كان يمثله وقتها شريعة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي تنص على عقيدة البعث بالطبع؛ إلا أن الجاهلية كانت آثارها باقية فيهم، وهذا يدلنا على أهمية التخلص مِن رواسب الجاهلية عندما يَمنُّ الله على أحدنا بالهداية؛ لأن آثارها الخفية قد تعلق بنا دون أن ندري.

➤ **وهذا الأمر يتشابه مع قصة العزير** عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِأْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ

لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

فقد مرَّ عزير عَلَيْهِ السَّلَامُ على هذه القرية -وهي بيت المقدس على المشهور بعد أن خرَّبها بختنصر وقتل أهلها- وهي خاوية ليس فيها أحد، فوقف متفكرًا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ وذلك لما رأى من شدة خرابها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾، وقد عمرت البلدة وتكامل ساكنوها وتراجع بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ بعد موته، كان أول شيء أحيا الله فيه: عينيه؛ لينظر بهما إلى صُنع الله فيه، كيف يحيي بدنه!

فلمَّا استقل سويًّا، قال الله له -أي بواسطة الملك-: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، قالوا: وذلك أنه مات أول النهار ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية، ظن أنها

شمس ذلك اليوم فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾؛ وذلك أنه كان معه فيما ذكر عنب وتين وعصير، فوجده كما فقده، لم يتغير منه شيء! لا العصير استحال، ولا التين حمض ولا أنتن، ولا العنب تعفن.

﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ أي: كيف يحييه الله عَزَّوَجَلَّ وأنت تنظر، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: دليلًا على المعاد ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أي: نرفعها، فنركب بعضها على بعض، وركب كل عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا، وذلك كله بمرأى من العزير، فعند ذلك لما تبيَّن له هذا كله ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: أنا عالم بهذا، وقد رأيته عيانًا، فأنا أعلم أهل زماني بذلك.

٢- التكريم الدنيوي:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾:

➤ حدث خلاف بين القوم حول الطريقة التي يتعاملون بها مع هؤلاء الفتية؛ فريق منهم رأى أن يبنوا عليهم بنيانًا لتنتهي قصتهم وتُدفن معهم أسرارهم، ولا يصبحون مثارًا للجدل والنقاش، وفريق آخر: رأى أن يجعلهم ظاهرين بارزين ببناء مسجدٍ عليهم، وهؤلاء عبَّر عنهم القرآن بقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾.

➤ **والمقصود بـ﴿ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ هنا:** ولاة الأمور بالمدينة، ويبدو أنهم رأوا أن يكون البناء مسجدًا ليكون إكرامًا لهم، ولكي يدوم تذكر الناس لهم، وقد كان اتخاذ المساجد على قبور الصالحين من الانحراف الذي طرأ على عقيدة النصارى، ونهى عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ذريعة إلى عبادة صاحب القبر، وإنما كانت الذريعة مخصوصة بالأموات؛ لأن ما يعرض لأصحابهم من الأسف على فقدانهم يبعثهم على الإفراط فيما يحسبون أنه إكرام لهم بعد موتهم، ثم يُتناسَى الأمر ويظن الناس أن ذلك لخاصية في ذلك الميت.

فهؤلاء المذكورون في القصة مذمومون على فعلهم ذلك، وإن كانوا من أهل الصلاح في الجملة فلا يلزم من ذلك أن يكون كل ما

صنعوه مشروعًا لهم، فضلًا عن أن يكون مشروعًا لنا، وقد جاءت شريعتنا بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، وقد قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**لَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ**»(١)، أي: لولا ذلك لأبرز قبره للناس وصار غير مختفٍ في الحجرة، ولكن خشي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن يأتي الناس لزيارة نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيصلون بجوار القبر فيُتخذ القبر مسجدًا، فرأوا أن يدفنوه في حجرته ليكون القصد أصلًا إلى مسجده؛ لأن الناس يأتون بطريقة معتادة إلى المسجد ليؤدوا الصلوات فلم يتخذوا القبر مسجدًا، بخلاف ما ظنه المتأخرون من أن وجود القبر الآن في مسجده هو مِن دلائل جواز اتخاذ القبور مساجد، بل إنما دفن صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المكان لكيلا يُتخذ القبر مسجدًا.

واتخاذ القبر مسجدًا إنما يحصل بأن يُبنى عليه مسجد، أو أن يُقصد بالصلاة بأن يجعل كالقبلة، أو أن يُصلَى بجواره، أو أن يدخل إلى القبر للصلاة عنده؛ فكل هذه الصور من اتخاذ القبور مساجد، وكلها ليست حاصلة في مسجد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن المسجد مبني قبل القبر بسنين، ولما احتاج الناس إلى التوسع ظلوا يتوسعون

(١) رواه البخاري (١٤٤١).

من جميع الجهات إلى أن وسعوا من الجانب الذي فيه القبر، فاتسع المسجد من حول القبر ولم يشمل القبر، والناس لا يتمكنون من الدخول إلى الحجرة ليصلوا في داخلها.

والغرض المقصود من ذلك هو: تغير المجتمع في نظرتهم للفتية من كونهم آبقين مارقين إلى اعتبارهم أولياء صالحين، وكعادة أهل الكتاب في الميل إلى الإفراط، أرادوا أن يعظموهم، ويكرموا مقامهم بتشييد مسجدٍ على قبرهم.

٣- المشيئة أولًا:

قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾:

كما هي عادة كثيرٍ مِن الناس في التعامل مع الأمور المبهمة والقضايا المُشكلة، النقاش الطويل والجدال العقيم، مع أنَّ الأدلة قد تكون منعدمة، والمعلومات غائبة، والقرائن غير كافية، ومع ذلك يتجادل الناس لأجل أنهم مدفعون في الأغلب بشهوة الكلام، والرغبة في الإدلاء بالرأي بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى؛ وإلا فعلى أي شيءٍ استند مَن قال: إن مجموعهم أربعة أو إنهم ستة أو ثمانية، الكثير منهم يُدلي برأيه كما وصف القرآن: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

ثم أرشدنا القرآن إلى الأدب المطلوب تطبيقه في مثل هذه الأحوال، وهو: الترفُّع عن المراء والجدل؛ لأن عمرَ الإنسان وجهده أعظم من أن يُنفَق في مناقشات جدلية لا طائل من ورائها، فوقت المسلم أغلى وأثمن من ذلك، ثم أرشد الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإنَّه: «لما أبرَّ الله وعد نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي وعده المشركين أن يبيِّن لهم أمر أهل الكهف، فأوحاه إليه وأوقفهم عليه، أعقب ذلك بعتابه على التصدي لمجاراتهم في السؤال عما هو خارج عن غرض الرسالة دون إذنٍ مِن الله.

وأمره أن يذكر نهي ربه، ويعزم على تدريب نفسه على إمساك الوعد ببيان ما يسأل منه بيانه دون أن يأذنه الله به، أمره هنا أن يخبر سائليه بأنه ما بُعث للاشتغال بمثل ذلك، وأنه يرجو أن الله يهديه إلى ما هو أقرب إلى الرشد من بيان أمثال هذه القصة، وإن كانت هذه القصة تشتمل على موعظة وهدى، ولكن الهدى الذي في بيان الشريعة أعظم وأهم. والمعنى: وقل لهم: عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدًا»(١).

وقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: **لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ**»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**»(٢).

وفي هذا الموطن تعليم وتأديب للنبي الكريم ألا يجزم بحصول شيء من علم الغيب دون أن يقدم المشيئة بين يدي كلامه.

---

(١) التحرير والتنوير (١٥/ ٢٩٩) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

وفي **صلح الحديبية**: بشَّر الله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَن معه مِن الصحابة بالعمرة مع تقديم المشيئة، فقال: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [الفتح:٢٧].

لذلك ورد النهي بألا يعزم الإنسان بالفعل في الأمور المستقبلة دون أن يسبقه بمشيئة الله؛ وذلك لما فيه من الكلام على المستقبل الذي لا يدري: هل يفعله أم لا؟ وهل يدركه أم لا؟

كما أن في الجزم بالفعل دون تقديم المشيئة ردًّا للفعل إلى مشيئة العبد دون التنبه إلى أن المشيئة كلها لله، فضلًا عما في ذِكْر المشيئة من تيسير الأمر وتسهيله، وحصول البركة فيه.

٤- التغيير في ظل غياب الفتية:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾:

قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ أن **يتغير المجتمع إلى الأصلح في ظل غياب أصحاب الرسالة**؛ ثلاثة قرون غاب فيها الدعاة، ليس نفيًا خارج البلاد، ولا حبسًا خلف جدران السجون، ولكنهم غابوا عن الحياة بكل ما تحملها مِن مظاهر، غابوا حسيًّا ومعنويًّا، ومع ذلك قيَّض الله دعاة آخرين حملوا مشعل الإصلاح ورسالة الدعوة.

➤ **درس بليغ لكل مَن يرى مِن نفسه محورًا أو ركنًا من الأركان التي لا يُستغنى عنها**، ولا ينبغي أن تراوح مكانها؛ إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نادى في الصحراء كما أمره ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ** ﴾ [الحج:٢٧]، ولم يكن حوله أحد، ولم تقم عنده حياة، ولكنه أدَّى ما عليه، وحمل الله عنه هذا النداء، فأسمعه لمَن شاء مِن خلقه.

ومرت السنون وإذ بالصحراء التي نادى فيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تكتظ عن آخرها، وتمتلئ بالوفود التي لا تنقطع على مدار الساعة، فمَن أسمَعَ هؤلاء؟! ومَن الذي ألقى في روعهم حب هذه الأماكن التي يأتون لها مِن أماكن بعيدة، ويبذلون مِن أجلها كرائم أموالهم؟!

إنه الله عَزَّوَجَلَّ.

➤ **فلا تحزن أيها الداعية إذا لم يستجب لك الناس**، وإذا أداروا لك ظهورهم، فإن دعوتك باقية، وسيحملها الله عنك إلى مَن يسمعها ويتأثر بها؛ ذلك: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق:١٢]، كما أنه يجب عليك أن تتحلى بالصبر الجميل، فأعمار الدعوات والأمم ليست بالفترات القصيرة، وربما انقضى عمرك وانتهى أجلك، وأنت ما زلت في طور التمهيد للدعوة والتأسيس لها، فلا تجزع إذا طالت بك المسيرة، ولم تنعم برؤية ثمارها.

وتذكر أن قوم أهل الكهف استغرقت رحلةُ التغيير معهم أكثر من ثلاثة قرون، وتذكر أن قوم نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ استغرقت رحلة تغييرهم أكثر من تسعة قرون، ومع ذلك لم تكن النتيجة النهائية على المستوى المرجو والمتوقع، فانشغل بتصحيح نيتك وتصويب عملك، ودَع عنك أمر النتائج.

كتابي صديقي

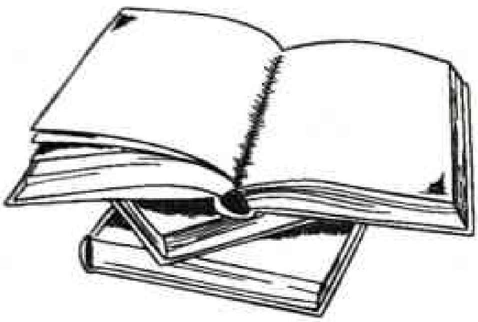

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد ﷺ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٢١) حتى الآية رقم: (٢٦)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

قصة_أصحاب_الكهف

العودة_إلى_الكهف

بعث الله في أجساد الفتية الحياة بعد هذا النوم الطويل؛ لا ليعمروا في الحياة، ولكن ليؤدوا مهمة محددة، هي: إثبات قدرة الله على البعث بعد الموت، فقدَّر الله ببعثهم من نومهم إصلاح عقيدة الناس في أمر البعث.

قدر الله عَزَّوَجَلَّ أن يتغير المجتمع إلى الأصلح في ظل غياب أصحاب الرسالة؛ ثلاثة قرون غاب فيها الدعاة، ليس نفيًا خارج البلاد، ولا حبسًا خلف جدران السجون، ولكنهم غابوا عن الحياة

بـكل ما تحملها مِن مظاهر؛ غابوا حسـيًّا ومعنويًّـا، ومع ذلك قيَّض الله دعاة آخرين حملوا مشـعل الإصلاح ورسـالة الدعـوة، وفي هذا درس بليـغ لكل مَن يرى مِن نفسـه محورًا أو ركنًـا من الأركان التي لا يُستغنى عنها، ولا ينبغي أن تراوح مكانها.

الكهف تقول لنا: إنه ليس مِن لوازم النصر أن يحضر الداعية حفلة الانتصار الختامية، بل يكفيه فقط أن يموت على الطريق حتى ولو مات في الكهف.

الكهف تقول لنا: إن النصر له أجل مكتوب ووقت مقدَّر، كما أن للأفراد أجلًا مكتوبًا، وعمرًا محددًا، وقد يتوافق هذا الأجل مع ذاك القدر وقد لا يتوافق، فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مكث في قومه داعيًا إلى الله لما يقرب من ألف عام، ومع ذلك لم تُقر عينه بإيمانهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

لا تحزن أيها الداعية إذا لم يستجب لك الناس، وإذا أداروا لك ظهورهم، فإن دعوتك باقية، وسيحملها الله عنك إلى مَن يسمعها ويتأثر بها؛ ذلك ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، كما أنه يجب عليك أن تتحلى

بالصبر الجميل، فأعمار الدعوات والأمم ليست بالفترات القصيرة، وربما انقضى عمرك وانتهى أجلك، وأنت ما زلت في طور التمهيد للدعوة والتأسيس لها، فلا تجزع إذا طالت بك المسيرة ولم تنعم برؤية ثمارها.

ميزان العقيدة

رسائل المشهد:

- التمسك بالمنهج والثبات على الحق.
- الرفقة الصالحة.
- الزمرة الفاسدة.
- الحق الأبلج.
- الجزاء العادل.

المشهد الخامس

ميزان العقيدة

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَقُلِ
الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا (٣٠) أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

مُلْتَحَدًا: ملجأ تميل إليه احتماءً به، فيجعله حرزًا.

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ: في الصباح والمساء.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ: لا تصرف نظرك.

أَمْرُهُ فُرُطًا: ضياعًا وهلاكًا.

أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا: حائط مِن نار، أحاط بهؤلاء المعذبين في جهنم.

كَالْمُهْلِ: كالزيت العَكِرِ.

وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا: قَبُحَتْ مجلسًا.

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ: رقيق الحرير وغليظه.

الْأَرَائِكِ: الأَسِرَّةِ المزيَّنة بِالسُّتُورِ الجميلة.

رسائل من قلب المشهد:

➤ **في هذا الجزء من القصة يعرض القرآن طرق الوقاية والعلاج من الفتنة الأساسية التي تعرَّض لها الفتية، وهي: الفتنة في الدين؛** لذلك تحدث القرآن عن التمسك بالوحي كمحور مهم ورئيس في مواجهة هذه الفتنة؛ لأن التمسك بالوحي يخلق لدى صاحبه العزة والقوة، ويعطيه المنعة والشوكة.

➤ **والمحور الثاني الذي أرشدتنا إليه الآيات هو: أهمية الرفقة الصالحة**؛ فالثبات على الطريق في أوقات الفتن يحتاج إلى صحبةٍ صالحةٍ، تُعين الإنسان على عقبات الطريق المختلفة، وعلى الضد مِن ذلك فإنَّ صحبة الغافلين المفرِّطين لا تزيد الإنسان إلا وحشةً وغربةً، حتى ولو توهَّم أنَّ فيها السعادة والسرور.

➤ **والمحور الثالث الذي ختمت به الآيات، هو: ربط ما يدور على الدنيا من خير وشر، ومن هزيمة ونصر باليوم الآخر**؛ لأن هذه العقيدة هي التي تجعل المؤمن يسير في الدنيا وهو مرتاح البال، مطمئن النفس، فالله عَزَّوَجَلَّ قال عن نفسه: «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا»؛ فكيف يضطرب فؤاد عبد وهو يعلم أن هناك يومًا تجتمع فيه الخصوم عند الله؟! ويقتص الله فيه للمظلوم من الظالم.

وهذه العقيدة التي تُهوِّن على المؤمنين مصائب الدنيا؛ لأن الله حكم عدل، وسوف يقف العباد كلهم أمامه ليجازيهم على أعمالهم في الدنيا، وهو عَزَّوَجَلَّ لا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عنه خافية، والمؤمن إما أن يُحصِّل ظَفَرًا ونصرًا في الدنيا، فينكسر الباطل أمام عينيه ويندحر الظلم أمام ناظريه، وإمَّا أن يدخر الله له أجره مضاعفًا في الآخرة.

ولتوضيح ذلك ذكرت الآيات نموذجين متضادين: نموذج الإيمان وجزاؤه الجنة بكل ما فيها من نعيم دائم متجدد، لا يفنى ولا يزول، قال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾، ونموذج الكفر وجزاؤه النار بكل ما فيها مِن عذابٍ وشقاءٍ، وألمٍ وغمٍّ، قال الله في وصفه: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾.

١- التمسك بالمنهج والثبات على الحق:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾:

المقصود مِن هذا التوجيه الإلهي للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرد على المشركين الذين كان ديدنهم أنهم لا يُبيَّن لهم شيء إلا وانتقلوا إلى طلب شيء آخر؛ فسألوا عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، ثم طلبوا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجعل بعض القرآن للثناء عليهم، فنزل القرآن ليقول للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تعبأ بهم إن كرهوا تلاوة بعض ما أوحي إليك، واتلُ جميع ما أوحي إليك؛ فإنه لا مبدل له.

➤ **وكأن الرسالة التي يريد القرآن أن يرسخها في وجداننا،** أن العقيدة لا مجاملة فيها، ولا مجال لاسترضاء الكفار بالتنازل عن

شيء منها، أو الالتقاء معهم في منتصف الطريق، فالقضية واضحة لا تحتمل حيدة، ولا تنازلًا ولا ترقيعًا؛ فليس مِن حقِّ أحدٍ أن يبدِّل دين الله أو أن يغير شريعته؛ إرضاءً لأحدٍ كائنًا من كان.

وبما أن المساومة في مثل هذه الحالات تكون شديدة، والتهديد يكون أشد، جاءت تلك الجملة الجامعة الكافية الشافية، وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن تجد مِن دون الله ملجأ يحميك ويحوطك وينصرك، مهما خوفوك أو أرهبوك، فالله هو حاميك وحافظك، ومهما كادوا بك وسَعَوا في إيقاع الضرر بك، فالله هو ناصرك ومنجيك من شرورهم وبطشهم.

٢- الرفقة الصالحة:

قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾:

➤ نزلت هذه الآية في أشراف قريش، حين طلبوا من الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يطرد فقراء المؤمنين مِن أمثال: بلال وصهيب وعمار وخباب وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أو أن يجعل لهم مجلسًا غير مجلس

هؤلاء النفر؛ لأن عليهم جبابًا تفوح منها رائحة العرق، فتؤذي السادة من كبراء قريش! وقد حدَّث النبي صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نفسه في ذلك طمعًا في إيمانهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ...﴾.

➤ **فالدعوة أعز وأشرف مِن أن يشترط السادة والكبراء شروطًا جائرة حتى يدخلوها**؛ لأنها تقوم على إعلاء قيمة التقوى كمعيار يتفاضل الناس على أساسه، وقد هدم الإسلام في نفوس أتباعه أيَّ اعتبارات جاهلية جعلها الكفار معيارًا للتفاضل بين الناس، وهذا الانحراف الجاهلي قد وَرِثته الحضارة الغربية اليوم، ففرَّقت بين الناس على أساس أمورٍ لا دخل لهم بها، ولا قدرة لهم على تغييرها، مثل: الجنس، والعِرق، واللون، بينما أهملت عن عمدٍ معيار العقيدة؛ رغم أنه يخضع لاختيار الإنسان وإرادته.

➤ **وتأكيدًا على الضد مِن مراد أكابر قريش**؛ أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يصبر نفسه مع عباد الله المؤمنين؛ وذلك لأهمية الرفقة الصالحة، فهي ركيزة أساسية في مسيرة الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وفي هذه الآية تعريضٌ بحماقة سادة المشركين الذين جعلوا همهم وعنايتهم

بالأمور الظاهرة، وأهملوا الاعتبار بالحقائق، فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والإيمان؛ بسبب كبرهم وغرورهم، وتعاليهم على غيرهم مِن الخلق.

إن الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **لابد فيها من رفقة صالحة؛** حتى ولو كانوا أقل حالًا ومنزلةً وجاهًا من غيرهم؛ لأن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعلى الخلق منزلة، وأقربهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وأشدهم علمًا به سبحانه، أمره الله بأن يصبر نفسه معهم؛ وذلك لأنهم يخلصون نيتهم لله عَزَّوَجَلَّ، والقرب من أمثال هؤلاء هو النعيم واللذة.

وتأمل في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾؛ لتعلم أن كَدَر الجماعة خيرٌ من صَفو الفرد، وإن الإنسان مهما ناله أذى بسبب وجوده في هذه الرفقة الطيبة فإنه يحتمل ذلك حسبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن البديل عن ذلك: إما أن تكون رفقة غير صالحة، يجد فيها الإنسان نفس الكدر الذي يمكن أن يجده في أيّ تجمع بشري -إضافة إلى ذلك: فإنه يُصاب مِن رذاذ فسادهم-، وإما أن يكون المصير إلى الانفرادية والتمحور حول الذات، وهذا الأمر يجر على الإنسان أنواعًا شتى من أمراض القلوب التي يجد الشيطان لها البيئة المناسبة،

فيغذيها وينميها في داخل هذا المنفرد فتعظم نفسه في عينه، وتتسرب إليه أمراض إبليس دون أن يشعر.

➤ **إن الجماعة -رغم ما قد يكون بها مِن كدرٍ- إلا أنها تُعلِّم هضم النفس**، وتنزع عنها أردية الكبر والغرور والتعالي، كما أنها تُعلِّم الصبر والتعاون، وتُنمِّي في النفس روح التواضع وخفض الجناح، والتسامي على حظوظ النفس، وكلما كان التجمع نظيفًا يمتلك العزم والإرادة ويسعى للصلاح والإصلاح، كان أقدر على التأثير الإيجابي في نفوس مَن يتواجدون في هذا التجمع.

٣- الزمرة الفاسدة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾:

قد يكون مَن أُمرت بمجالستهم فقراء؛ فتطمع النفس إلى مصاحبة مَن هو مِن أهل المال والسلطان، والنفس تتشوَّق إلى ذلك وتتطلَّع إليه، وتفتخر به، فتقول مثلًا: إن فلانًا الكبير من أصحابي، أو ممن أزورهم وممن أدخل عليهم، حتى إن كثيرًا من الناس يزن الأمور بموازين الدنيا، من السلطان والمال والجاه، والسمعة بين

الخلق؛ ولهذا اقترن الأمر بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والنهي عن أن تتعداهم، بالنهي عن أن تتطلع العينان إلى من أُعطي زينة الحياة الدنيا.

وقد قدَّر الله عَزَّوَجَلَّ **ألا يكون الملأ أتباعًا للدعوة في أول نشأتها، وفي فترات ضعفها**؛ ولا شك أن المال والسلطان والجاه والمنزلة من أعظم ما تتقوَّى به الدعوة، ونفوس الدعاة متطلعة إلى التمكين للدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلربما من أجل ما يرون من المصلحة، وما يريدون دفعه من المفسدة تتطلع النفوس إلى بعض الطاعة، وبعض المتابعة لهؤلاء المترفين.

➤ **وهذا من أعظم الخطر، ومن مزالق الأقدام**؛ لأنها مصالح وهمية، تأتي بعد ذلك بمفاسد عظيمة جرّاء متابعة أهل الباطل؛ لأن أمثال هؤلاء يريدون أن ينشأ المجتمع أو يستمر على موازين الجهل والظلم التي هم عليها؛ ولذلك يقرِّرون مبادئ وقواعد توزن بها أعمال الناس تخالف شرع الله عَزَّوَجَلَّ، ويعظِّمون ما حقَّره الله، ويحقِّرون ما عظَّمه الله؛ فهم لا يلتفتون إلا إلى السلطان والمال، ونوع الملبس والمركب والمطعم، وهكذا...

ولذلك وجدنا هذا العتاب الشديد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في قصة الأعمى**، رغم أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يريد من ذلك إلا إيمان مَن يؤمن مِن علية القوم، وما كان يريد إلا مصلحة الدين والتمكين للإسلام، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليه هذه الآيات، وكذا قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [عبس].

هذه هي الموازين الإيمانية التي لابد أن نزن بها الأمور، فقد يبدأ الشيطان في تسويل الأمر لبعض الناس، ممن ينتسب إلى العلم والدين؛ بأن في هذا الأمر مصلحة، وربما وُجدت بعض المصالح بالفعل، ولكن بعد فترة تنقلب الموازين، فتجده يُقرّ بكل ما يريده أعداء الله، ولرُبَّما فطن المشركون والمنافقون وأعداء الإسلام إلى هذه المفاتيح في شخصيته، فيعطونه ما يريد مِن الوجاهة والمنزلة ومِن زخرف الدنيا؛ فإذا به يصير لسانَ حالهم، وربما صوَّب كفرهم! والعياذ بالله.

وتأمل في خطوات الشيطان لصرف الناس عن الحق؛ فأول منازل البُعد: الغفلة، وتأمل في تعبير القرآن عن الغفلة، وهي:

النسيان والانشغال عن الله، فإنه قال: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ رغم أن الذكر مِن العبادات التي تؤدَّى باللسان، لكن تأديتها باللسان مع غفلة القلب لا يُثمر القُرب المطلوب، ولا يُوصل إلى الهدف المرجو، فإذا أصيب الإنسان بداء الغفلة تسلَّط عليه الهوى؛ لأن الهوى لا يستوطن إلا القلوب الفارغة، أما القلوب العامرة بالذكر فإن الهوى لا يجد له فيها محلًّا.

وماذا بعد أن يصير الإنسان أسيرًا لهواه؟!
ماذا يتبقى له من الاستقامة؟!

إن عقده ينفرط، وإن شيطانه يغلب، فتختلط عليه أموره وتضطرب عليه أحواله، فلا يزن أموره بميزان الشرع، ويصبح التفريط سمة واضحة في أمره كله.

٤- الحق الأبلج:

قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾:

أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصارح المشركين بأنه لا يعدل عن الحق الذي جاءه من عند الله، وأنه مبلّغه بدون هوادة، وأنه

لا يرغب في إيمانهم ببعضه دون بعض، ولا يتنازل إلى مشاطرتهم في رغباتهم بشطر الحق الذي جاء به، وأن إيمانهم وكفرهم موكول إلى أنفسهم، لا يحسبون أنهم بوعد الإيمان يستنزلون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن بعض ما أُوحي إليه.

وإذا تأمَّلت هذا الترتيب؛ وجدتَ الدعوة إلى الله لا تقوم إلا بذلك، لابد من تلاوة الكتاب، ولابد من اللجوء إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولابد من طائفة صالحة مخلصة تصحبها على طاعة الله، فالذي ينبغي عليك ألا تتطلَّع نفسك إلى صحبة أهل الدنيا، ولابد من الحذر من طاعة الغافلين؛ فضلًا أن تكون أنت غافلًا، ولابد أن تترك اتباع الهوى، بل تحاربه، وتنهى النفس عنه.

فهذه أسس البناء القويم، وبدونها تكون الدعوة ممحوقة البركة لا ثمرة لها، أو تكون ثمارها مُرَّة، لا تسمن ولا تغني مِن جوع، فلا تتمكن من تغيير الواقع، ولا التمكين للدين في الأرض؛ لذلك إذا أردنا أن نكون دعاة فلا بد أن نقول الحق، فيصل هذا الحق إلى مَن أراد الله هدايته، فينبت النبات الطيب، ولابد أن توجد الأسس

التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قصة هؤلاء الدعاة، وفي خاتمة هذه التوجيهات الإيمانية القرآنية.

➤ **ومِن حكمة الله** عَزَّوَجَلَّ: أن يبدأ الدعاة إلى الله مِن ضعف، ثم ينمو وجود الدعوة إلى الله حتى تقوى، وعند ذلك يشرع الله الجهاد؛ لأن الناس إذا دخلوا في الدين بالجهاد دخل فيه مَن يحسن ومَن لا يحسن؛ مَن يريد الدين ومَن لا يريده، فهناك الكثيرون يدخلون في الدين إذا تمكن؛ لأنه أمر قد ترجَّح، كما قال عبد الله بن أبي ابن سلول لما انتصر المسلمون في بدر فقال: «**هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ**»[1]، يعني: صار له وجه، ويبدو أنه سوف يتصدر، فدخل في الإسلام ودخل المنافقون، فكانوا أعظمَ خطر على المجتمع المسلم!

والذين دخلوا في دين الله أفواجًا، مِن السهولة أن يخرجوا منه أفواجًا، أما الذين دخلوا فيه واحدًا واحدًا، ونبت الإيمان في قلوبهم كشجرة تنبت في الصخر، فلا يمكن أن تنزعها الرياح مِن جذورها؛ لأن الإيمان قد ثبت في قلوبهم، وانظر فيمن ثبت بعد وفاة

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٦).

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وقد ثبَّت الله الأمة كلها بـأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم ثبتها بمَن تابعه مِن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه كان قد امتلأ قلبه إيمانًا فما تزعزع، ولولا فضل الله بهؤلاء؛ لما كان للإسلام ذكرٌ في وقتنا.

واستمرارًا لهذا المنهج الواضح، وهذه القوة والصرامة في عرض الحق، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾؛ ليس على سبيل التخيير، وإنما على سبيل التهديد؛ فالعقيدة ليست ملكًا لأحدٍ حتى يعرضها للمساومة والتنازل، والدِّين لا يعز ولا ينتصر إلا بمن دخل فيه راغبًا مختارًا، عازمًا عليه ومفضلًا له على غيره؛ وإلا فماذا يصنع الدين برجال يدخلونه كُرهًا وغصبًا فيُفسدون فيه ويُسيئون إليه كما فعل أكابر المنافقين الذين أعلنوا إسلامهم، وأبطنوا الكفر في صدورهم؟!

➤ **وليس في الآية دليل على عدم وجوب الجهاد -كما توهم البعض-؛** فليس معنى وجوب الجهاد أننا نكره الناس على الدخول

في الدين، بل يظل الدخول فيه رغبةً واختيارًا، ولكن يُمنع الكفر والطغيان من أن يفرض نفسه على الناس جيلًا بعد جيل، وأن يكون حاجزًا بين الناس وبين الإيمان، فوظيفة المسلمين في الجهاد أن يزيلوا الشبهات عن الدين، وأن يمنعوا الباطل من أن يكون متسلطًا على البلاد والعباد، فإذا ظهر أمر الله، فلن يُكره أحد على الدخول في الإسلام، إلا مَن ورد الإكراه في حقه لارتكابه جريمة الرِّدة؛ فالمرتدون هم الذين يُكرَهون على الإسلام فقط، أما مَن سواهم: فالصحيح أنه لا يُكره أحدٌ مِن أهل الملل على الدخول في الإسلام.

٥- الجزاء العادل:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾:

هذه الآية استكمال لما قبلها، وفي ضوئها يُفهم المقصود من عدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام؛ فليس المقصود بذلك هو مساواة الملل، وتصويب عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، وليس المقصود أن يكفَّ المسلم عن الحكم على الكافر بالكفر، كما أنه لا يعني أن المصير مجهول يوم القيامة، وأنه مِن المحتمل أن يدخل الكافرُ الجنةَ، أو أن يُخلَّد المؤمنُ في النار؛ فكل هذه التصورات أوهامٌ فاسدة وخيالاتٌ ضالة.

➤ **لذلك أفصح القرآن عن حقيقة الجزاء الأخروي المترتب على الاختيار الدنيوي**، فالكفار والمكذبين أعدَّ الله لهم ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أعد الله لهم ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾، فالقضية واضحة لا غبش فيها؛ هناك فريق اختار الكفر والضلال فاستحق العذاب، وفريق اختار الهدى والإيمان فنال حسن الجزاء، ولو لم يحدث ذلك لكان هناك اتهام للذات الإلهية بالظلم وعدم الحكمة؛ إذ كيف يعذب المؤمن ويرحم الكافر، وهو الذي وصف نفسه بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾؟!

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٢٧) حتى الآية رقم: (٣١)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_أصحاب_الكهف

 # ميزان_العقيدة

بدأت الكهف بالاستضعاف والقهر، وخُتمت بالتمكين والنصر؛ فقد كانت بداية الرحلة مع فتية الكهف الذين فرُّوا بدينهم من الفتن حيث لم يكن لديهم قدرة على الجهر بكلمة التوحيد في وسط مجتمع عَلَت فيه راية الكفر، وأكره الناس على الدخول فيه، ثم انتهت الرحلة على يد ذلك الرجل الصالح الذي مكَّنه الله مِن العلم والقوة والحكمة، وحقق على يديه النصر والظفر.

الأيام دول، والمعاناة لا تستمر، والألم سرعان ما تزول ظلمته، وحياة المرء فينا أقصر من أن تشهد هذا كله؛ فربما كان قدر البعض منا أن يشهد فترات التضييق، والبعض الآخر قد يرزقه الله أن يعيش في ظل الأمن والعدل والرخاء، والبعض يشهد مِن هذا فينة ومِن ذاك فينة، لكن المهم مِن هذا كله أن يظل الإنسان على عبوديته بربه في السراء والضراء، فكل وقت له عبودية؛ إلا أن العبودية في ظل التضييق لها عند الله منزلة أعلى وأكرم.

تحولت الفتنة بعد ثلاثة قرون إلى ملحمة من ملاحم التمكين، رغم أن أصحاب الدعوة والمتحدثين الحصريين باسمها قد فروا مِن الظلم ولم تحدث بينهم وبينه مواجهات كما هو مألوف ومعتاد في قصص الصراع بين الحق والباطل، فقد كتب الله لهم النصر دون أن تُراق دماؤهم أو يُعتدَى عليهم، والله يؤتي فضله من يشاء.

تذكر أن قوم أهل الكهف استغرقت رحلة التغيير معهم أكثر مِن ثلاثة قرون، وتذكر أن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ استغرقت رحلة

تغييرهم أكثر مِن تسعة قرون، ومع ذلك لم تكن النتيجة النهائية على المستوى المرجو والمتوقع؛ فانشغل بتصحيح نيتك، وتصويب عملك، ودع عنك أمر النتائج.

الكهف تقول لنا: إن العقيدة لا مجاملة فيها، ولا مجال لاسترضاء الكفار بالتنازل عن شيءٍ منها، أو الالتقاء معهم في منتصف الطريق، فالقضية واضحة لا تحتمل حيدة، ولا تنازلًا ولا ترقيعًا، فليس من حق أحد أن يبدل دين الله أو أن يغير شريعته إرضاءً لأحدٍ كائنًا ما كان، وبما أن المساومة في مثل هذه الحالات تكون شديدة، والتهديد يكون أشد، جاءت تلك الجملة الجامعة الكافية الشافية، وهي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾، أي: لن تجد مِن دون الله ملجأ يحميك، ويحوطك وينصرك.

الكهف تقول لنا: إن كدر الجماعة خير مِن صفو الفرد، وإن الإنسان مهما ناله أذى بسبب وجوده في هذه الرفقة الطيبة؛ فإنه يحتمل ذلك حسبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن البديل عن ذلك: إما أن تكون رفقة غير صالحة، يجد فيها الإنسان نفس الكدر الذي يمكن أن يجده في

أي تجمعٍ بشري -إضافة إلى ذلك: فإنه يُصاب من رذاذ فسادهم-، وإما أن يكون المصير إلى الانفرادية والتمحور حول الذات.

الكهف تقول لنا: إن الجماعة -رغم ما قد يكون بها مِن كدرٍ- إلا أنها تعلم هضم النفس، وتنزع عنها أردية الكبر، والغرور والتعالي، كما أنها تعلِّم الصبر والتعاون، وتُنمي في النفس روح التواضع وخفض الجناح، والتسامي على حظوظ النفس، وكلما كان التجمع نظيفًا يمتلك العزم والإرادة ويسعى للصلاح والإصلاح، كان أقدر على التأثير الإيجابي في نفوس مَن يتواجدون في هذا التجمع.

الفَصْلُ الثَّانِي

قصة صاحب الجنتين

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** العطية الإلهية والحوار الكاشف.
- **المشهد الثاني:** البوار الكامل.
- **المشهد الثالث:** حقائق الكون وأهوال يوم القيامة.

قصة صاحب الجنتين

تمهيـــد:

في هذه القصة ينتقل بنا القرآن إلى طورٍ جديدٍ مِن أطوار رحلة التمكين، ويعرض لنا حلقة جديدة مِن حلقات الصراع بين الحق والباطل، **وطرفا الصراع هنا رجلان:** أحدهما كافر: وهو الذي نعته القرآن بـ«**صاحب الجنتين**»، والطرف الآخر: مؤمن، وهو الذي يمثِّل جانب الحق، والخير والصلاح.

➤ **تدور أحداث القصة حول حياة هذا الرجل المعاند،** فنعم الله الظاهرة عليه تسحر القلوب، وتأسر الألباب؛ فعنده الأموال والثمار، والحاشية والأنصار، وكأنه قد حاز نعيم الدنيا، وقد أبدع القرآن في وصف الجنتين بكل ما فيها مِن زرعٍ وثمرٍ ونخل، وأنهار متدفقة.

ولكن هذا النعيم الهائل الذي يتنعم به هذا الرجل لم يؤدّ به إلى الإيمان بالله ولا إلى شكره وحمده، ولكنَّه أورثه الكبر والغرور، وطول الأمل، وظنَّ أنه طالما معه الأموال والأولاد فهو مستغنٍ

عن الإيمان والعمل الصالح، وتوهَّم أنه وصل إلى ذروة النعيم، فأنكر الموت والبعث والحساب، وحتى على فرض وجودهما فسيكون له فيهما الحظ الأوفر والنصيب الأفضل؛ لأنه ربط بين الخير الذي آتاه الله له وبين صحة موقفه العقدي، فطالما رزقه الله هذا المال الوفير، فمِن المؤكَّد أنه الأصح والأصلح!

➤ **ثم انتقلت بنا الآيات إلى الجانب الآخر**، وهو: جانب الإيمان المشرق، والعقيدة الصحيحة، فظهر دور الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ الذي قام بواجب النصيحة والبيان، فجرت بينه وبين صاحب الجنتين مناظرة ماتعة بيَّن له فيها حقائق التوحيد والإيمان، وأظهر له فساد العقيدة التي يعتقدها في الموت والبعث واليوم الآخر.

وحطَّم له الأصنام التي يتعلق بها قلبه، من محبة المال والولد، والاغترار بالكثرة والقوة والمنعة، ولكنَّ هذا الحوار الطويل لم يؤثر في صاحب الجنتين أيضًا، وظل متمسكًا بتصوراته ومعتقداته رغم وضوح الحجج وظهور البراهين، فتركه الرجل المؤمن محذرًا إياه مِن الخسران في الدنيا والهلاك في الآخرة إن ظلَّ على ما هو عليه.

وقد وقع بالرجل ما سبق أن حذَّره منه صاحبه؛ ففي غمضة عين تحولت الجنان إلى بوارٍ كاملٍ، وذهب عنه كل ما كان يعتز به مِن نعيم، فهلك البستان وضاع الثمر، وجف الماء، وانصرف عنه الرجال والأعوان!

➤ **هذه القصة العظيمة بدأها الله عَزَّوَجَلَّ بقوله:** ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم ﴾، والخطاب موجه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن ذكرت الآيات خبر المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب الله لهم مثلًا بهذين الرجلين، فكانت هذه القصة أبلغ ردّ على تصورات المشركين الفاسدة، وغرورهم الكاذب.

➤ **ومن ملامح الإعجاز في هذه القصة:** أنها جاءت لكي تضرب للمشركين مثلًا برجلٍ يفكر بنفس الطريقة التي يفكرون بها، ويعتقد نفس العقائد التي يتمسكون بها، بل يردد نفس العبارات التي يتشدقون بها، وقد فنَّد القرآن لهم شبهاتهم، وناقش عقائدهم على لسان الصاحب المؤمن الذي تولى دعوته ومجادلته، ثم بما عقَّب به القرآن على القصة مِن آيات حاسمة وفاصلة في هذه القضية.

وتنبُع أهمية هذه القصة من تكرُّرِها عبر الزمان والمكان، فها هو القرآن يبيِّن لنا قصةً أخرى مشابهة لهذه القصة، وهي: قصة قارون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] إلى قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١].

نفس المعتقدات ونفس طريقة التفكير، وكأنَّ هناك اتفاقًا بينهما، فقارون أعطاه الله كنوزًا يعجز الرجال الأشداء المجتمعون عن حمل مفاتيحها! فإذا كانت هذه مفاتيح الكنوز فما الظن بالكنوز نفسها؟! ورغم هذه الهبات العظيمة من الله لقارون؛ إلا أنه تبجَّح بعلمه وقوته، واغترَّ بزينته وحاشيته، ونسب الفضل لنفسه، وأصبح قارون فتنة لذوي النفوس الضعيفة ممَن تسحر أعينهم لعاعات الدنيا.

➤ **ثم أخبرنا القرآن عن نهاية هذا الكافر المغرور الذي ظلم نفسه ونسي ربه؛** فقد أهلكه الله بما معه مِن كنوزٍ وأموالٍ، ومتى

هلكت الأموال زالت الهيبة، وانصرف الرجال وتفرَّق الأعوان، وتنكَّر له كل مَن كان يتزلف إليه بالأمس.

وهذه هي النهاية المأساوية لكل القصص التي تعبد المادية مهما طالت بها حياة، فكم مِن حضاراتٍ ودولٍ كانت ملء السمع والبصر ثم زالت وزال ملكها، وأصبحت جزءًا من الماضي، ولأجل هذا الطغيان المادي على حياة البشر يُكثر القرآن من ذكر القصص والعِبَر التي تعالِج هذا المرض في نفوس الناس.

وإذا تأملت في هذه القصة ستجد أن هناك فرقًا كبيرًا بين البيئة التي كان يتحرك فيها فتية الكهف وبين تلك البيئة، ففتية الكهف كانوا في طور استضعاف شديد وانعدام كامل للوسائل التي يتحركون من خلالها؛ لذلك عدَّ القرآن هروبهم للكهف نوعًا من الجهاد؛ لأنهم لم يكونوا يملكون غير هذا، ولم يكن بمقدورهم أن يفعلوا غير هذه الوسيلة.

أما هنا فنحن أمام طورٍ جديدٍ مِن أطوار الدعوة، وهو طور القبول المجتمعي العام، وفيه تقوى الدعوة بحيث يكون لها ذكر

حسن في المجتمع، ولكن ليس لها سلطان أو قوة؛ لذا فلا يجوز للداعية في هذه البيئة أن يعتزل الناس ويفرَّ إلى الجبال، بل عليه أن يخالط الناس ويدعوهم، ويصبر على آذاهم، وهكذا يظهر للمسلم في كل وقت عبودية تلائم الزمان والمكان الذي يقدِّر الله عليه أن يتواجد فيه.

فإذا كان القرآن قد أشار إلى **منهجية التلطف** في تعامل فتية أهل الكهف مع قومهم، فإن المنهجية الحاكمة على هذه القصة هي: **منهجية الحركة، واستغلال المساحات المتاحة**، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستثمار المتاح والممكن من الوسائل؛ لجلب مزيدٍ مِن المساحات والوسائل غير المتاحة، حتى يأذن الله بالنصر والتمكين.

➤ **إن مما يُدمي القلب أن يعيش الدعاة في زمن صاحب الجنتين؛** حيث لهم قدْرٌ مِن الكلمة المسموعة والحركة الإيجابية، والقدرة على التبليغ والبيان، ثم إذ بهم يعتزلون الحياة عزلة أهل الكهف انتظارًا لعصر ذي القرنين! معللين قعودهم عن الدعوة بالمساحات

المحجوبة عنهم، رغم أنك إذا سألتهم عما يملكونه مِن مساحاتٍ؛ وجدتَ التقصير الفاحش، والتفريط الشديد!

لذا يجب على الدعاة أن يقاوموا شهوة التعلق بغير المتاح، حتى يؤدوا واجبهم فيما تحت أيديهم من المتاح، فإذا فعلوا ذلك فتح الله لهم مساحات جديدة، وفرصًا عديدة لم تكن في حسبانهم، ولم تخطر لهم على بالٍ.

العطية الإلهية والحوار الكاشف

رسائل المشهد:

۞ الفتنة الطاغية والنعيم الفاني.

۞ الفخر الكاذب.

۞ الغرور الزائف.

۞ المناظرة المفحمة والنفسية السوية.

۞ أمارات العجز البشري.

المشهد الأول

العطية الإلهية والحوار الكاشف

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ
مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ
ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ
لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ
نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن
تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ
إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ
إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ
أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا
﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

جَنَّتَيْنِ: يعني بستانين أو حديقتين.

وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ: أحطناهما بنخل.

آتَتْ أُكُلَهَا: أعطت ثمارها، وهو ما يؤكل.

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا: أي: وَلَمْ تنقص منه شيئًا، بل أتت به كاملًا ووافيًا.

نَفَرًا: أَنْصَارًا، وَأَعْوَانًا.

مُنْقَلَبًا: مَرْجِعًا وَمَرَدًّا.

لَكِنَّا: أي لكن أنا، حُذفت الألف، وأدغمت النون في النون، فصارت: لَكِنَّا.

حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ: أي: عذابًا ترمي به.

صَعِيدًا زَلَقًا: يعني أَرْضًا ملساء جرداء، لا تثبت عليها قدم، ولا تنبت شيئًا.

مَاؤُهَا غَوْرًا: يعني غائرًا في أعماق الأرض، فلا يَقْدِرُ على استنباطِه وإخراجه.

رسائل من قلب المشهد:

◀ في هذا الجزء من المشهد يعرض القرآن صورة دقيقة عن الجنتين بكل ما فيهما مِن جمالٍ وإبهارٍ، وهما رمز لزينة الحياة الدنيا التي تغزو قلوب كثيرٍ مِن الخلق فتفتنهم عن حقيقة الدنيا، وتصرفهم عن حقيقة الآخرة، ثم انتقل بنا المشهد ليروي لنا تفاصيل الحوار الذي دار بين الصاحبين.

فالأول: الذي أعطاه الله الجنتين يتطاول على صاحبه الفقير الذي لم يعطه الله المال والأعوان، والمنعة، ولم يقف به الغرور عند هذا الحدِّ، ولكنه اعتبر هذا التفاوت المادي دليلًا على صحة معتقده وسلامة موقفه، فظن أنه رغم عناده وتكذيبه سوف يجد في الآخرة مثل ما كان معه في الدنيا، بل أفضل منه.

أما الطرف الثاني: فهو صاحبه المؤمن الذي حاول أن يصحح له المفاهيم المغلوطة، ويعالج عنده المعتقدات الفاسدة، فناظره بالحجج الواضحة، والردود القوية، واستدلَّ بآيات الله الكونية، والتي منها: مراحل خلق الإنسان، ورغَّبه ورهَّبه وحذَّره مِن مغبة الإصرار والعناد.

١- الفتنة الطاغية والنعيم الفاني:

قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾:

◀ يصف القرآن حال الجنتين، فيذكر أنهما بستانان من أعناب، وفي هذين البستانين من كل الثمرات، ومن مختلف أنواع الفواكه، وخصوصًا الأعناب والنخيل، فالعنب في وسطهما، والنخل محيط بهما، فحصل فيهما من حسن المنظر وبهائه، وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بهما الثمار وتنضج، ومع ذلك جعل بين تلك الأشجار زرعًا، وأخبر تعالى أنَّ كلًّا مِن الجنتين آتت ثمرها وزرعها متضاعفًا ولم تنقص من أُكلها أدنى شيء، ومع ذلك فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة.

وما أجمل أن يعبر القرآن عن عدم نقصان الجنتين، واكتمال ثمرهما بقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾! والمراد: أنها لم تُنقص منه شيئًا، وهذا التعبير فيه تعريض بهذا الرجل المغرور الذي ظلم نفسه،

رغم أن الله لم يسلب منه نعمه، ولم يبخس له حقًّا، فتأمل تلك المقابلة؛ فكثير منا ربما يقع فيها دون أن يدري، ففي الوقت الذي يُسدل الله ستره علينا، إذ بنا نعصيه ونجاهر بعصياننا، وبينما هو يرزقنا ويُنعم علينا، إذ بنا نمنع الفقراء حقوقهم أو نبخل بالصدقة أو نقصِّر في النفقة الواجبة، فإياك أن تظلم نفسك في الوقت الذي يفيض الله عليك مِن كرمه بالمزيد.

٢- الفخر الكاذب:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾:

يتفاخر صاحب الجنتين على صاحبه بما معه مِن أموالٍ وأنصارٍ، وخدمٍ وهيئةٍ، كما هو دأب المغرورين في كل زمانٍ ومكانٍ، وهذا الفخر دليل على جهله وضعف عقله؛ وإلا فأي فخر بأمورٍ ليس لك فيها كسب ولا عمل، بل هي محض رزقٍ وفضلٍ مِن الله عَزَّوَجَلَّ؟! وليس الميزان عند الله بكثرة الأموال والأولاد، والحشم والخدم؛ إنما معيار التفاضل عند الله هو الإيمان.

وقد ردَّ القرآن على المشركين الذين ظنوا أن أموالهم وحاشيتهم مانعةٌ لهم من عذاب الله، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ]، فجاء الرد الحاسم الذي يوضِّح هذه الحقيقة، وهي أن هذه الأموال يعطيها الله عَزَّوَجَلَّ لمن يشاء ويقبضها عمن يريد، ولكنَّ معيار التفاضل بين البشر مداره الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ].

٣- الغرور الزائف:

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾:

➤ انتقل صاحبنا من الفخر الكاذب إلى الغرور الزائف؛ فتصوَّر أن الهبة التي أعطاها الله له أصبحت حقًّا مكتسبًا ثابتًا، لا يزول

ولا يفنى! ثم نقله هذا الغرور الزائف إلى المعتقد الفاسد، وهو: إنكار البعث والقيامة؛ رغبةً في بقاء النعيم الذي تحت يديه، ومع ذلك فلو كان هناك بعث وقيامة، فسيكون مِن المميَّزين في الآخرة كما كان من المنعمين في الدنيا!

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا لا يخلو مِن أمرين: إما أن يكون عالمًا بحقيقة الحال، فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء، فيكون زيادة كفر إلى كفره، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون مِن أجهل الناس، وأبخسهم حظًّا من العقل، فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة، حتى يظن بجهله أن مَن أُعطي في الدنيا أُعطي في الآخرة، بل الغالب: أن الله تعالى يزوي الدنيا عن أوليائه وأصفيائه، ويوسعها على أعدائه الذين ليس لهم في الآخرة نصيب، والظاهر: أنه يعلم حقيقة الحال، ولكنه قال هذا الكلام على وجه التهكم والاستهزاء، بدليل قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، فإثبات أن وصفه الظلم في حال دخوله الذي جرى منه من القول ما جرى، يدل على تمرده وعناده»[١].

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٧).

وإذا كانت جنة هذا الرجل هي بستانه وحديقته، والتي مِن خلالها وقع في الفتنة، فهناك جنان كثيرة تغرق أصحابها في فتنٍ مماثلةٍ؛ فقد تكون جنة أحدهم في قصره المنيف، وحشمه وخدمه، وسعه أملاكه، وقد تكون جنته في قاعدته العسكرية، وقوة بأسه وكثرة نياشينه، وقد تكون جنته في قوة ملكه واتساع سلطانه، وكلها نعم مِن الله لَمَن أحسن التعامل معها وأدَّى حق الله فيها، وقد تتحول إلى بلاءٍ ونقمةٍ لَمَن اغتر بها وأساء التصرف فيها، والحياة بها كثير من أمثلة هذا وذاك، فهل مِن معتبر؟!

◀ **وقد حكى القرآن نماذج من هذا الانحراف في الفهم والتهكم على العذاب، منهم:** العاص بن وائل، فقد كان الخباب بن الأرت عليه دين فتقاضاه، فقال العاص له: «لا أقضيك حتى تكفر بمحمدٍ. قال خباب: لا أكفر بمحمدٍ حتى تموت ثم تبعث، قال: فإذا بعثت كان لي مال وولد، ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا، ومِن كل الثمرات؟ قال: بلى. قال: فإن موعدك الآخرة، فوالله لأوتين مالًا وولدًا، ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فضرب الله مثله في القرآن، فنزلت فيه الآيات مِن سورة مريم:

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم][(١)].

ومنهم الوليد بن المغيرة، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم! إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا، قال: لمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا، قال: قد علمتَ قريش أني مِن أكثرها مالًا.

قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكرٌ له، أو أنك كاره له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا مِن هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته!

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٠) بتصرفٍ.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت الآيات: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر](١).

٤- المناظرة المفحمة والنفسية السوية:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾:

هنا يأتي دور الرجل المؤمن لكي يوضِّح الحقائق ويرد الشبهات، وقد اتبع طريقة رائعة في الإقناع والمجادلة، فترك كل ما يتشبث به صاحبه مِن المتاع والزينة وعاد به إلى الأصل الذي لا يستطيع أن يجادل فيه، ولا أن ينكر حقيقته، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، حديث: (٣٨٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ولم يخرجاه».

ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:٧٨]، وكما قال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢].

وروي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتبختر في ثوب له من الخز فقال له: «يا عبد الله! ما هذه المشية التي يبغضها الله؟! فقال له: أتعرفني؟ قال: نعم، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة»(١).

➤ **ثم ذكَّره الرجل المؤمن بفضل الله عَزَّوَجَلَّ في نفسه وخلقه،** «فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك مِن طورٍ إلى طورٍ، حتى سوَّاك رجلًا كامل الأعضاء، والجوارح المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهيأ لك ما هيأ مِن نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك؛ فكيف يليق بك أن تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة ثم سواك رجلًا وتجحد نعمته، وتزعم أنه لا يبعثك، وإن بعثك أنه يعطيك خيرًا من جنتك؟! هذا مما لا ينبغي ولا يليق»(٢).

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٥).

(٢) تفسير السعدي (ص٤٧٧).

➤ وفي طريقة الرجل المؤمن الحوارية مع صاحبه منهاج واضح يبيِّن كيف يكون التعامل مع الصاحب غير المؤمن أو المتلبس بالفساد أو المعاصي، فهذا النوع من الناس لا يصح أن تكون صداقته على سبيل المشابهة والمشاكلة، فقد قال النبي ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[١]، والصاحب إما يعين صاحبه على الطاعة، أو يُلقي به إلى دركات الضلال، ومَن قُدِّر عليه أن يكون صاحبه على فسادٍ فتكون علاقته به مِن باب إقامة الحجة والدعوة إلى الخير، وبذل النصيحة.

وتأمل هنا في هذه النفسية العجيبة لهذا الداعية المميز؛

فإنه لم يرد على تفاخره وتعاليه عليه، ولم يثأر لنفسه، ولم يدفع عن جاهه، وإنما رد على معتقداته الفاسدة وأقواله الكفرية، وكأن همَّه متوجه إلى إنقاذ صاحبه من الهلاك دون التفاتٍ إلى أي شيء آخر، وهكذا ينبغي أن تكون نفوس الدعاة هينة لينة سمحة، تتحمل الأذى وتصبر عليه، وتحرص على هداية الخلق، ونجاتهم من النار.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

٥- أمارات العجز البشري:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾:

يواصِل الصاحب المؤمن تحطيم القيم المادية الفاسدة التي استولت على عقل صاحب الجنتين، فبعد أن بيَّن له حقيقة النفس البشرية وما يلازمها من مظاهر الضعف والعجز والحاجة؛ ردَّ على شبهةٍ خطيرةٍ جاءت في ثنايا تفاخره عليه بمتاعه وماله، وهي تتلخص في أن الإيمان لم يحمه من الفقر، وأن الله لم يعطه مِن الأموال والأولاد رغم أنه مؤمن.

➤ **قال الله** عَزَّوَجَلَّ **في فضح هذه الطريقة المريضة في التفكير والقياس:** ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ

مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴾ [مريم].

فليس عطاء الدنيا محلًّا للتفاضل، ولا دليلًا على الرفعة وعلو المنزلة؛ بل قد يكون اختبارًا وامتحانًا، فإعطاء الدنيا للكافر فتنة للمؤمن، وحجبها عن المؤمن فتنة للكافر، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام:٥٣].

➤ **وقد أرشده الرجل الصالح إلى الواجب عليه إذا رأي شيئًا يعجبه مما يملكه**؛ فضلًا عما أنعم الله به على خلقه، فالإنسان قد يصيب نفسه بالعين، وقد يصيب غيره؛ لذلك قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»(١).

➤ثم ذكر الرجل المؤمن سنة من سنن الله الجارية، وقد لخَّصها القرآن في قوله: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾،

(١) رواه أحمد (١٥٧٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٧٢).

فالعطاء الإلهي بابه واسع، وقد يغنيه الله مِن فضله، ولو أراد الله أن يرزق المؤمن مالًا وجاهًا أكثر مما عند الكافر لفعل، ولو أراد الله إهلاك جنته وإفنائها لفعل، ولو أراد سبحانه إبقاءها مع منع أسباب إنباتها وإنمائها لفعل، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: ٣٠].

كتابي صديقي

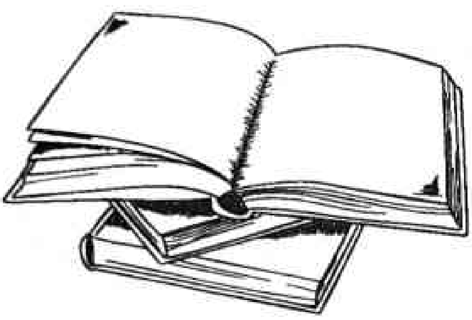

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٣٢) حتى الآية رقم: (٤١)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

قصة_صاحب_الجنتين

العطية_الإلهية_والحوار_الكاشف

من ملامح الإعجاز في قصة صاحب الجنتين: أنها جاءت لكي تضرب للمشركين مثلًا برجلٍ يفكر بنفس الطريقة التي يفكرون بها، ويعتقد نفس العقائد التي يتمسكون بها، بل يردد نفس العبارات التي يتشدقون بها، وقد فنَّد القرآن لهم شبهاتهم وناقش عقائدهم على لسان الصاحب المؤمن الذي تولى دعوته ومجادلته.

أشار القرآن إلى منهجية التلطف في تعامل فتية أهل الكهف مع قومهم، لكنه في قصة صاحب الجنتين أوضح أن المنهجية الحاكمة على

هذه القصة هي منهجية الحركة واستغلال المساحات المتاحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستثمار المتاح والممكن من الوسائل لجلب مزيدٍ مِن المساحات والوسائل غير المتاحة حتى يأذن الله بالنصر والتمكين.

إن مما يدمي القلب أن يعيش الدعاة في زمن صاحب الجنتين حيث لهم قدرٌ مِن الكلمة المسموعة، والحركة الإيجابية، والقدرة على التبليغ والبيان، ثم إذ بهم يعتزلون الحياة عزلة أهل الكهف انتظارًا لعصر ذي القرنين، معللين قعودهم عن الدعوة بالمساحات المحجوبة عنهم، رغم أنك إذا سألتهم عما تحت أيديهم من مساحاتٍ وجدتَ التقصير الفاحش، والتفريط الشديد!

يتفاخر صاحب الجنتين على صاحبه بما معه مِن أموالٍ وأنصارٍ، وخدمٍ وهيئةٍ، كما هو دأب المغرورين في كل زمانٍ ومكانٍ، وهذا الفخر دليل على جهله وضعف عقله؛ وإلا فأي فخرٍ بأمورٍ ليس لك فيها كسب ولا عمل، بل هي محض رزق وفضل مِن الله عَزَّوَجَلَّ؟! وليس الميزان عند الله بكثرة الأموال والأولاد والحشم والخدم؛ إنما معيار التفاضل عند الله هو الإيمان.

البوار الكامل

رسائل المشهد:

- الجنة البائرة والعقوبة المؤلمة.
- الندم الموجع واليقظة المتأخرة.
- ولاية الله لا تعدلها ولاية.

المشهد الثاني

البوار الكامل

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ
فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾
وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾
هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ: أهلكت أمواله، وحديقته.

يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ: يضرب بالواحدة على الأخرى، كما يفعل المتندّم الأسيف على ما فاته.

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا: ساقطة بعضها على بعض.

فِئَةٌ: جماعة.

الْوَلَايَةُ: الملك والسلطان.

رسائل من قلب المشهد:

يصف القرآن في هذا الجزء مِن القصة مشهد الحسرة والندم الذي أصاب صاحب الجنتين بعد ما أهلك الله له زرعه وثماره وجنته، وتبدلت المناظر الخلابة التي كانت تملأ البستان إلى أرض بور خربة لم يعد فيها شيء، وحيث هلك ماله فقد انصرفت عنه حاشيته، فلم يكن التفاف هؤلاء حوله مِن أجل الله، بل كانت ولايتهم له حسب ما ينتفعون منه.

➤ **وانتهى المشهد على تلك الصورة الموحشة المظلمة التي يصورها قوله تعالى:** ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بعد ما كانت البداية: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾، فنعوذ بالله من شر عذابه، وغضبه ونقمته.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذه القصة العظيمة، اعتبارٌ بحال الذي أنعم الله عليه نعمًا دنيوية، فألهته عن آخرته وأطغته، وعصى الله فيها؛ أن مآلها الانقطاع والاضمحلال، وأنه وإن تمتع بها قليلًا فإنه يُحرمها طويلًا، وأن العبد ينبغي له -إذا

أعجبه شيء من ماله أو ولده- أن يضيف النعمة إلى موليها ومسديها، وأن يقول: ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾؛ ليكون شاكرًا لله متسببًا لبقاء نعمته عليه.

وفيها: الإرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير؛ لقوله: ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾.

وفيها: أن المال والولد لا ينفعان إن لم يعينا على طاعة الله.

وفيها: الدعاء بتلف مال مَن كان ماله سبب طغيانه وكفره، وخسرانه؛ خصوصًا إن فضَّل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم.

وفيها: أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم»[(١)].

١- الجنة البائرة والعقوبة المؤلمة:

قال الله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾:

والإحاطة بالثمر تعني: التلف التام، والبوار الكامل،

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٧) بتصرف.

والدمار الذي لا مفرَّ منه ولا مهرب! ألا ما أصعب تلك اللحظات التي يظهر للغافل فيها الحقائق واضحةً لا غبش فيها، ولا شك في يقينها، ولكن عادة ما يأتي الندم متأخرًا فلا ينفع، ولا يؤثر!

إن الله عَزَّوَجَلَّ يمهل ويعفو ويصفح، ويعطي للعبد الفرصة تلو الأخرى، ولا يُنزل العقوبة عادة إلا بعد التكرار والإصرار، بل ربَّما يتعرض الإنسان منا إلى مشهدٍ مِن مشاهد الهلاك المؤكد، ثم يُفاجأ بالنجاة في اللحظة الأخيرة، ومع ذلك يعود إلى العصيان والمعاندة مرةً أخرى!

وتأمَّل في حال المشركين الذين عاينوا مشهد الغرق المؤكَّد الذي لا يُرجي معه النجاة، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [يونس:٢٢].

أرأيت قسوة المشهد؟!

الموج يحاصرهم مِن كل مكان، والرياح هائجة، ولا يلوح أمامهم أي بصيص أمل في النجاة، وكما أحيط بثمر صاحب الجنتين، أحيط بسفينتهم وهم في وسط البحر، ولكن الله ترك لهم فرصة للنجاة، فهدأت العواصف، واستقرت الرياح، وعادت الأمواج إلى طبيعتها، وحصلت لهم النجاة غير المتوقعة؛ فكان الواجب عليهم الاستقامة بعد إذ رأوا الهلاك المحقق، ولكن للأسف الشديد لم يلتزموا بذلك! قال الله تعالى واصفًا حالهم بعد النجاة: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [يونس:٢٣].

وإذا فتَّش كل واحد منا في سجل أعماله، سيجد أنه قد استنفد كثيرًا مِن رصيد الستر والحلم والعفو المُقدَّر له، ويوشك إن استمر به العصيان أن يكشف الله عنه ستره، أو أن يُنزل به غضبه، فيُحاط به، فلا يجد مفرًّا ولا مهربًا.

٢- الندم الموجع واليقظة المتأخرة:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴾:

نعوذ بالله من الندم بعد فوات الأوان، حسرة تعتصر الفؤاد مِن شدة الألم على كثرة ما أنفقه مِن وقتٍ وجهدٍ، وشدة حرص، فما جيَّش له نفسه وسخَّر له قوته طوال عمره إذ به يتلاشى في لحظة، كأن لم يكن! ذهب جمال الجنتين، وتحطم كل شيء فيها، وأصبحت خاوية بعد أن كانت عامرة، بائرة بعد أن كانت مثمرة، مجدبة بعد أن كانت غنية.

والقرآن يعرض لنا هذا المشهد بهذا التفصيل، حتى لا نكون في يومٍ ما في نفس موقف هذا الرجل صاحب الجنتين، فنعض أصابع الندم دون جدوى؛ لذلك حذَّرنا الله من الوقوع في مثل هذا المصير، فقال: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر].

٣- ولاية الله لا تعدلها ولاية:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾:

لما نزل العذاب بصاحب الجنتين، ذهب عنه كل ما كان يفتخر به مِن كثرة الأنصار ووفرة الأتباع، فلم يدفعوا عنه من العذاب شيئًا، بل تخلَّوا عنه في أشد ما كان محتاجًا إليهم، فلم يعد لديه القدرة على مواجهة العذاب بنفسه، ولم يتمكن أحدٌ مِن دفعه عنه، ليظهر لجميع الخلق قانون الولاية الذي لا يتخلف، فالولاية لله عَزَّوَجَلَّ وحده، فمَن كان مؤمنًا به، كان له وليًّا، فأكرمه بأنواع الكرامات، ودفع عنه الشرور، ومَن كان به كافرًا خسر دينه ودنياه، كما حدث مع صاحب الجنتين.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٤٢) حتى الآية رقم: (٤٤)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

قصة_صاحب_الجنتين

البوار_الكامل

إن الله عَزَّوَجَلَّ يمهل ويعفو ويصفح، ويعطي للعبد الفرصة تلو الأخرى، ولا يُنزل العقوبة عادة إلا بعد التكرار والإصرار، بل ربَّما يتعرض الإنسان منا إلى مشهدٍ مِن مشاهد الهلاك المؤكد، ثم يُفاجأ بالنجاة في اللحظة الأخيرة، ومع ذلك يعود إلى العصيان والمعاندة مرةً أخرى!

إذا فتَّش كل واحد منا في سجل أعماله، سيجد أنه قد استنفد كثيرًا مِن رصيد الستر والحلم والعفو المُقدَّر له، ويوشك إن استمر به العصيان أن يكشف الله عنه ستره، أو أن يُنزل به غضبه، فيُحاط به، فلا يجد مفرًّا ولا مهربًا.

حسرة صاحب الجنتين حسرة تعتصر الفؤاد من شدة الألم على كثرة ما أنفقه مِن وقتٍ وجهدٍ، وشدة حرص، فما جيَّش له نفسه وسخَّر له قوته طوال عمره إذ به يتلاشى في لحظة، كأن لم يكن! ذهب جمال الجنتين، وتحطم كل شيء فيها، وأصبحت خاوية بعد أن كانت عامرة، بائرة بعد أن كانت مثمرة، مجدبة بعد أن كانت غنية.

حقائق الكون وأهوال يوم القيامة

رسائل المشهد:

- الحياة الذابلة.
- المتاع الزائل والأمل الباقي.
- أهوال يوم العرض.
- الشيطان رأس الفتن والشرور.
- الشريك الخائن.
- القرآن كتاب الهداية والنجاة.
- وظيفة الرسل.
- الرحمة الواسعة والعقوبة المقدرة.
- منظومة الرحمة في سورة الكهف.

المشهد الثالث

حقائق الكون وأهوال يوم القيامة

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾
وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ
فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا
ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا
عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ

لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا
خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ
نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا
بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا
وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا ﴿٥٤﴾
وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ
إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴿٥٥﴾ وَمَا
نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ
إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن
تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ
ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل
لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ
أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

هَشِيمًا: يعني يابسًا متفتتًا.

تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ: تنثره الرياح وتفرقه لخفته ويبوسته.

وَخَيْرٌ أَمَلًا: خيرُ ما يُرجَى عند الله.

نُسَيِّرُ الْجِبَالَ: أي: تقتلع مِن أصولها، وتصير هباءً منبثًا.

فَلَمْ نُغَادِرْ: لم نترك منهم أحدًا.

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها عدًّا.

وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً: ظَاهِرَة ليس عليها ما كَان يسترها مِن المخلوقات؛ إذ فنيَ كل ما كان عليها مِن عمران.

حَاضِرًا: مُثْبَتًا. **فَفَسَقَ**: فخرج.

عَضُدًا: أعوانًا.

مَّوْبِقًا: مَهلِكًا في جهنم يهلكون فيه جميعًا.

مُّوَاقِعُوهَا: واقعون فيها.

مَصْرِفًا: مكانًا غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها.

صَرَّفْنَا: وَضَّحْنَا، وَنَوَّعْنَا. **سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**: إهلاك المكذبين.

قُبُلًا: عيانًا ومشاهدة. لِيُدْحِضُوا: لِيُزِيلُوا.

أَكِنَّةً: أغطية. مَوْئِلًا: مَلْجَأً، وَمَخْلَصًا.

وَقْرًا: صَمَمًا وَثِقَلًا في السمع.

رسائل مِن قلب المشهد:

لما كانت الفتنة الأساسية التي قامت عليها قصة صاحب الجنتين هي فتنة التعلق بالدنيا، كان مِن المناسب أن يعرض القرآن حقيقة الدنيا مقارنةً بمشاهد يوم القيامة، وهو اليوم الذي تتضح فيه الحقائق، وتتكشف فيه الأسرار.

◀ فكما أعرض صاحب الجنتين عن سماع الحق واتبع هواه، ثم ندم وتحسر بعد أن أهلك الله له بستانه وثمره، كذلك يفعل المجرمون والكافرون يوم القيامة، فإنهم يعضون أناملهم من الغيظ ويتحسرون على فوات الطاعة، ولكنه ندم لا يفيد؛ لأنه بعد فوات الأوان، وكأنَّ القرآن ضرب لنا مثل صاحب الجنتين ثم انتقل بنا إلى مشهد ندم الكافرين يوم القيامة؛ لكي يحذرنا مِن أن يئول بنا الحال إلى هذا المصير.

١ - الحياة الذابلة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلًا، ولِمَن قام بوراثته بعده تبعًا: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار.

وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر ينزل على الأرض، فيختلط نباتها، تنبت من كل زوج بهيج، فبينا زهرتها وزخرفها تسر الناظرين، وتفرح المتفرجين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيمًا تذروه الرياح، فذهب ذلك النبات الناضر، والزهر الزاهر، والمنظر البهي، فأصبحت الأرض غبراء ترابًا، قد انحرف عنها النظر، وصدف عنها البصر، وأوحشت القلب.

كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها على أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذته أزهارها، وخاض في الشهوات في جميع أوقاته، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه؛ إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت لذته وحبوره، واستوحش قلبه من الآلام وفارق شبابه وقوته وماله، وانفرد بصالح، أو سيئ أعماله.

هنالك يعض الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه، ويتمنى العود إلى الدنيا، لا ليستكمل الشهوات، بل ليستدرك ما فرَّط منه من الغفلات، بالتوبة والأعمال الصالحات، فالعاقل الجازم الموفق يعرض على نفسه هذه الحالة، ويقول لنفسه: قدّري أنك قد مت، ولا بد أن تموتي؛ فأي: الحالتين تختارين؟ الاغترار بزخرف هذه الدار، والتمتع بها كتمتع الأنعام السارحة، أم العمل لدار أكلها دائم وظلها، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين؟! فبهذا يُعرف توفيق العبد مِن خذلانه، وربحه من خسرانه»[١].

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٧٨).

وهذه الآية نظير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالت الحكماء: إنما شبَّه تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على واحدٍ؛ ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا؛ ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى؛ ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها؛ ولأن الماء إذا كان بقَدَرٍ كان نافعًا منبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًّا مهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع، وفضولها يضر»(١).

وهذا درس بليغ في مقاومة الغرور وطول الأمل، والركون إلى زينة الدنيا الظاهرة، فإن الأمور سرعان ما تتبدل وتنقلب من حالٍ إلى حالٍ، فالله هو الذي بيده مقادير الخلائق، وهو القدير الذي

(١) تفسير القرطبي (١٠/ ٤١٢).

لا يعجزه أحد، فلا تغتر بكثرة مال فقد يذهب المال، ولا بكثرة أنصار فقد ينصرفون عنك، ولا بالجاه والسلطان، فقد تتبدل المواقع، ويصير المحكوم حاكمًا، والحاكم مسجونًا، والقصص في تبدُّل حال الدنيا وتنكرها لأهلها كثيرة ومؤلمة، فإياك أن تكون واحدًا من هؤلاء الضحايا، بل علِّق قلبك بالله وثق به، واحتمِ بجنابه؛ يحفظك الله مِن فتن الدنيا، وسوء عواقبها.

٢- المتاع الزائل والأمل الباقي:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾:

اختصرت الآية السابقة الحياة بكل ما فيها مِن زينةٍ وزخرفٍ في جملةٍ واحدةٍ، وفي خطواتٍ سريعةٍ متلاحقةٍ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾؛ هذه هي صورة الحياة، يعرضها القرآن بهذا الاختزال، وهذا الاختصار ليكشف عن جوهرها وحقيقتها، فكما ينزل الماء فينبت الزرع ثم لا يلبث أن يبور ويهلك، كذلك الإنسان يولد ثم يعيش حياة قصيرة ثم يموت.

➤ ولكن في الحياة فتن وملاذ تتزين للناظرين، وتتزخرف في أعين المغترّين، فأخبرنا تعالى أنَّ المال والأولاد زينة الحياة الدنيا، وأنَّ الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسره في آخرته هو الباقيات الصالحات، وهذا يشمل جميع الطاعات الواجبة والمستحبة من حقوق الله، وحقوق عباده، مِن: صلاة، وزكاة، وصدقة، وحج، وعمرة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، وقراءة، وطلب علم نافع، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وصلة رحم، وبر والدين، وجميع وجوه الإحسان إلى الخلق، كما قال عَزَّوَجَلَّ في موضع آخر: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ [مريم:٧٦].

مع أنَّ الإسلام لا ينهى عن الزينة الحلال، ولا يمنع مِن المتع الطيبة المباحة، ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها؛ فلا يسمح الإسلام لأتباعه أن تختل لديهم الموازين، أو أن يضطرب في حسهم ترتيب الأولويات، فتصبح الزينة والمتاع هي معيار التقييم والتفاضل بين الناس، أو أن يحتل الانشغال بالدنيا المرتبة المتقدمة على غيرها من واجبات الدين، أو أن يصبح اللهو -مع كونه مباحًا- أصلًا وركيزةً

يُنفق عليها الإنسان وقته أو ماله أو جهده، فكل هذه انحرافات عن القاعدة القرآنية المحكمة: ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾.

➤ **والآية ترد على المشركين الذين ظنوا أن في استكثارهم من الأموال والأولاد في الدنيا نجاة لهم من عذاب يوم القيامة،** وهذه هي النظرة المادية التي تحكم معتقدات الكفار في كل زمان ومكان، فجاء القرآن ليصحح هذه النظرة المنحرفة وليقول لهم: إن كل هذه المظاهر التي يتفاخرون بها إنما هي زينة دنيوية لا علاقة لها بالميزان الأخروي، فالميزان عند الله هو ميزان الأعمال الصالحات، وهذا هو الأمل الحقيقي الذي يجب على العباد أن يعلِّقوا قلوبهم به، أما غير ذلك فهي آمال زائلة، لا تستقر ولا تدوم.

٣- أهوال يوم العرض:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾:

➤ يخبر الله تعالى عن حال يوم القيامة، وما فيه مِن الأهوال والشدائد التي يشيب منها الولدان فزعًا وخوفًا، وقد بدأت الآية بنسف الجبال، وتدميرها وتسييرها، والجبل رمز القوة والثبات، وقد ضرب الله المثل بثباته فقال: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم:٤٦]، وقال: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء:٣٧].

لذلك ردَّ الله على المشركين المنكرين للبعث في موضع آخر فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [طه]، وعبَّر القرآن عن هذا المعنى في عدة مواضع، وبألفاظ متنوعة فقال: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ [الطور]، وقال: ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة].

وقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج]، وقال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل]، وغيرها من الآيات التي تقول للمشركين: إن كل ما ترونه في الحياة من مظاهر القوة والعظمة سينتهي ويزول، ويصبح أثرًا بعد عين، ويأتي يوم القيامة والأرض يومها عارية مكشوفة ليس فيها رسوم ولا علامات؛ إنما هو الظهور التام، والانكشاف المطلق.

➤ **ثم ينتقل القرآن إلى مشهد العرض على الله عَزَّوَجَلَّ فرادى، حفاة عراة،** لا يكون مع الإنسان في هذا الموقف أحدٌ؛ لا مال، ولا جاه، ولا قوة، ولا سلطان! قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ [الأنعام:٩٤]، وقال تعالى: «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» [مريم]؛ فلا نجاة لأحدٍ مِن العرض على الله عَزَّوَجَلَّ، ولا مجال للتخفي ولا للهروب؛ الكل حاضر، والجميع مصفوفون، والأرض مستوية مبسوطة، والكل منتظر لحظة الحساب والمواجهة.

➤ **ثم تأتي مرحلـة نشر الصحف ووضع الكتاب الذي دُونت فيـه الأعمال كلها؛ صغيرهـا وكبيرها،** ما ظَنَّه العبـد هينًا -وهذا ما بـدأ القرآن بـه لكثرة تهاون النـاس فيه-، وما حسـبه عظيمًا؛ فهناك حصرٌ شـامل ودقيقٌ بالأعمال، فإذا كان الغالب على أعمال الإنسان المعـاصي والكفر والفجور، فإنـه يتحسر ويندم، ويدعو على نفسـه بالويل والثبور.

أما إذا كان الغالب على الأعمال الصلاح والاستقامة فإنه يفرح بما ادَّخر الله له من ثواب، فكل معروف مهما صغر شأنه في عين العبد فهو مأجور عليه حتى سقيا الكلب، وكل بلاء أو أذى أصابه فهو في رصيد حسناته حتى ولو كان شوكة.

➤ **وهذا يفتح للإنسان بابًا للرجاء وبابًا للخوف، أما باب الـرجـاء:** فيدفعك إلى عدم احتقار شيء من المعروف مهما تراه قليلًا، فقد يكون فيه نجاتُك، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١)، وقد دخلت امرأة بغي الجنة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٢٦).

في كلبٍ سقته، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»(١).

أما باب الخوف: فيدفعك إلى عدم احتقار الذنب؛ لأنه تجاوز في حق الله عَزَّوَجَلَّ، وكما قال أحد السلف: «لا تنظر إلى حقارة الذنب، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيتَ!»، وكان الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ هذه الآية يقول: «يا ويلتاه! ضجوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر»، فالمؤمن يرى ذنبه كجبلٍ يوشك أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنبه كذبابٍ وقع على أنفه، فقال به هكذا، ثم إن السيئة مهما كانت صغيرة فإنها تُكتب عليك وقد يكون فيها هلاكك، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ**»(٢).

➤ **وقد أشار القرآن في مواضع أخرى إلى ما هو أشد من عرض الكتاب؛ ألا وهو نطق الجوارح**، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا

(١) رواه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).
(٢) رواه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٦١٩).

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟
لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ
عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ
كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

وفي ذكر ما يدور في يوم الحشر في أعقاب «الباقيات الصالحات» رابط لا يخفى؛ فهذا هو الذي ينفع في وسط هذه الأهوال؛ لذلك سماها الله: باقيات، أما زينة الحياة الدنيا فشبهها بالماء الذي لا يبقى ولا يدوم أثره، فإذا أردت نجاة في يوم العرض والحشر، فتزود ما شئت بالباقيات الصالحات فهي التي تنفعك يوم التخلي والفراق، قال تعالى:
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

٤- الشيطان رأس الفتن والشرور:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾:

➤ يخبر الله تعالى عن عداوة إبليس لآدم وذريته، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إكرامًا وتعظيمًا، وامتثالًا لأمر الله، فامتثلوا ذلك الأمر إلا إبليس، فقد رفض السجود تكبرًا على أوامر الله وحسدًا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]، وقال: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٣٣]، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٦٢].

والأمر لم يتوقف عند عداوة إبليس لبني آدم فقط، ولكن أخبرنا القرآن أن لإبليس ذرية يسيرون على نفس طريقته ويتبعون نفس منهجه؛ فلا يستقيم لعاقلٍ أن يسلم زمام أمره لعدوه فيواليه، ويترك ولاية الله عَزَّوَجَلَّ التي فيها الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

وفي ذكر إبليس وقصته مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الموضع إشارةٌ لطيفةٌ إلى أن إبليس رأس كل الشرور وسبب كل الفتن، وأن الإنسان لا ينبغي أن يغفل للحظة واحدة عن أصل العداوة بين آدم وذريته

وبين الشيطان وذريته؛ لأن الغفلة عن ذلك معناها الانتصار الفوري للشيطان في المعركة التي يريد الشيطان منها إهلاك العبد ودماره.

٥- الشريك الخائن:

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا﴾:

➤ يوجِّه القرآن خطابه للمشركين والضالين الذين اتخذوا الشياطين أولياءَ مِن دون الله فعبدوهم وأطاعوهم، بأن الله لم يُشهدهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم؛ فكيف يكونون خالقين لشيءٍ مِن ذلك؟! وكيف يجعل له هؤلاء المضلون شركاءَ من الشياطين وغيرهم مِن المعبودين مِن دون الله، يوالون ويطاعون كما يطاع الله، وهم لم يخلقوا ولم يشهدوا خلقًا؟!

◄ ولما ذكر الله حال مَن أشرك به في الدنيا، أخبر عن حالهم مع شركائهم يوم القيامة، وأن الله يقول لهم: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾ أي: نادوا مَن كنتم تظنون أنهم شركاء مع الله، لينفعوكم، ويخلصوكم من الشدائد، وكأنهم ذهلوا عن أنهم في يوم القيامة، فنادوا عليهم بالفعل، ولكنهم لم يردوا عليهم؛ لأن الحكم والملك يومئذٍ لله، بل لا يكون بينهم يومئذٍ إلا العداوة والجفاء كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]؛ لذلك كان جزاؤهم في الآخرة العذاب الشديد، حتى إذا رأوا النار أيقنوا أنهم داخلوها، ولم يجدوا عنها معدلًا يعدلون إليه، ولا شافع لهم يحول بينهم وبين دخولها.

٦- القرآن كتاب الهداية والنجاة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾:

جعل الله بين المعبودين وبين عُبَّادِهم مهلكة لا يجتازونها؛ هذه المهلكة هي النار والعياذ بالله، فإذا تطلع المجرمون إلى هذه النار العظيمة، امتلأت قلوبهم بالخوف والرعب، وهم يتوقعون في كل لحظة أن يقعوا فيها، وقد أيقنوا أنه لا نجاة منها، ولا مصرف عنها، ثم يوبخهم القرآن ويذكرهم بأنه كان لهم عنها مصرف، لو أنهم صرفوا قلوبهم في الدنيا للقرآن، ولم يجادلوا في الحق الذي جاء به.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر الله تعالى عن عظمة القرآن وجلالته وعمومه، وأنه صرَّف فيه مِن كل مثل، أي: مِن كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال، والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب؛ اعتقادًا، وطمأنينة، ونورًا، وهذا مما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور، ومع ذلك، كان كثير من الناس يجادلون في الحق بعد ما تبين، ويجادلون بالباطل»[١].

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٠).

٧- وظيفة الرسل:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾:

أرسل الله عَزَّوَجَلَّ الرسل لكي يدعوا الناس إلى كل خير، وينهوهم عن كل شر، ويبشروهم على امتثال ذلك بالثواب العاجل والآجل، وينذروهم على معصية ذلك بالعقاب العاجل والآجل، فقامت بذلك حجة الله على العباد، ومع ذلك يأبى الظالمون الكافرون إلا المجادلة بالباطل، ليدحضوا به الحق، فسعوا في نصر الباطل ما أمكنهم، وفي دحض الحق وإبطاله، واستهزأوا برسل الله وآياته، وفرحوا بما عندهم من العلم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

٨- الرحمة الواسعة والعقوبة المقدرة:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾:

➤ أخبرنا القرآن أنه لا أحد أكثر ظلمًا، ولا أعظم جرمًا من هؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله، ويُعرضون عن شرعه؛ ولأجل ذلك حجب الله عنهم الانتفاع بالقرآن وبآياته، فجعل على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه، وجعل في آذانهم صممًا فلا يستمعون إليه، وقدَّر عليهم الضلال -بسبب استهزائهم وإعراضهم-؛ فلن يجدوا للهداية سبيلًا.

٩- منظومة الرحمة في سورة الكهف:

قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾.

➤ **جاء ذكر الرحمة في سورة الكهف في عدة مواضع**، وقد حكاها القرآن على لسان عددٍ من أبطال القصة، منها: قول الله عَزَّوَجَلَّ على لسان فتية الكهف: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾، وقولهم: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾.

➤ ومنها قول الله عَزَّوَجَلَّ على لسان الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ في شأن الغلامين: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾، وقوله بشأن الغلام: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾، وقال الله عن الخضر: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾، وقول الله عَزَّوَجَلَّ على لسان ذي القرنين: ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾، ثم قول الله عن نفسه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾.

كل هذه المواطن -وغيرها- تدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ رحيمٌ، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه عَزَّوَجَلَّ يحب أن يعفو ويغفر ويصفح،

ومن مظاهر هذه الرحمة: أن الله يؤخِّر عذاب العاصين، ويؤجل عقوبة المكذبين؛ فالله عَزَّوَجَلَّ يحلُم على خلقه ويمهلهم حتى يظل طريق الرجوع والتوبة مفتوحًا أمامهم، ولو كانت العقوبة فورية لهلك الناس، وانتهت الحياة، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل: ٦١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا

كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:٤٥].

وبالتالي: فإذا رأيتَ أن الله أذِن بهلاك قرية أو قوم؛ فاعلم أنهم قد بلغوا من العذر مبلغه، وأن الله لم يُنزل عليهم عقوبته، ولم يُحلّ بهم غضبه إلا بعد أن تجبروا وتمادوا وأوغلوا في الظلم والطغيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، فإذا وقع منهم هذا الفساد في الأرض بعد الإعذار والإنذار، استحقوا شديد العذاب كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢].

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٤٥) حتى الآية رقم: (٥٩)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

قصة_صاحب_الجنتين

حقائق_الكون_وأهوال_القيامة

الله هـو الـذي بيـده مقاديـر الخلائـق، وهـو القديـر الذي لا يعجـزه أحـد، فلا تغتر بكثـرة مالٍ فقـد يذهب المـال، ولا بكثرة أنصار فقد ينصرفون عنك، ولا بالجاه والسلطان، فقد تتبدل المواقع، ويصير المحكوم حاكمًا، والحاكم مسـجونًا، والقصص في تبدُّل حال الدنيـا وتنكرهـا لأهلهـا كثيرة ومؤلمة؛ فإيـاك أن تكـون واحدًا من هؤلاء الضحايا، بل علِّق قلبك بالله وثق به، واحتمِ بجنابه، يحفظك الله من فتن الدنيا وسوء عواقبها.

لا ينهى الإسلام عن الزينة الحلال، ولا يمنع من المتع الطيبة المباحة، ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها؛ فلا يسمح الإسلام لأتباعه أن تختل لديهم الموازين، أو أن يضطرب في حسهم ترتيب الأولويات، فتصبح الزينة والمتاع هي معيار التقييم والتفاضل بين الناس، أو أن يحتل الانشغال بالدنيا المرتبة المتقدمة على غيرها من واجبات الدين، أو أن يصبح اللهو -مع كونه مباحًا- أصلًا وركيزةً يُنفق عليها الإنسان وقته أو ماله أو جهده.

أخبرنا القرآن أن عداوة إبليس لبني آدم لم تتوقف عليه فقط، ولكن حذرنا من أن له ذرية يسيرون على نفس طريقته ويتبعون نفس منهجه؛ فلا يستقيم لعاقلٍ أن يسلم زمام أمره لعدوه فيواليه، ويترك ولاية الله عَزَّوَجَلَّ التي فيها الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث

قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** العزيمة الصادقة.
- **المشهد الثاني:** مجمع البحرين.
- **المشهد الثالث:** الحوادث الغامضة.
- **المشهد الرابع:** الحِكَم الخفية.

قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر

تمهيد:

انتقل القرآن بنا من قصة فتية الكهف إلى قصة صاحب الجنتين، ثم ها نحن وصلنا إلى قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر، وهي قصة لطيفة مليئة بالعِبَر والفوائد، ورد في سبب نزولها: «**أَنَّ مُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ...**»[(١)].

➤ سافر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -وهو النبي- إلى المكان الذي أُخبِر أنه سيجد عنده الخضر، وبالفعل قابله هناك، واستأذنه أن يلازمه من أجل أن يتعلم منه، وبعد أن أوضح له الخضر صعوبة الرحلة، حيث إنه سيرى أشياء لا طاقة له بتحملها ولا بالصبر عليها؛ إلا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -رغبة في طلب العلم- أصرَّ على طلبه، ووافق الخضر أن يصطحبه معه بشرط ألا يسأله عما يراه مِن أفعال حتى يجلِّيها له، ويوضح له عللها.

(١) سبب قصة موسى والخضر رواه البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠).

➤ وانطلق الرجلان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ معًا في جولة عجيبة كأشد ما يكون العجب، وقدَّر الله عَزَّ وَجَلَّ ألا يصبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الخضر، وخالف شرط الصحبة مرتين، ثم قطع على نفسه حُكمًا بفراقه في المرة الثالثة وقد كان، وفارق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الخضر، واستمرَّ الخضر في طريقه المكلف به من ربه، ولكنه قبل أن يفارق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كشف له عن العلل الخفية الكامنة وراء أفعاله وتصرفاته التي عايشها معه في فترة مصاحبته له.

وقد وردت هذه القصة في سياق الرد على أهل الكتاب رغم عدم سؤالهم عنها، لكي تفضح منطقهم الفاسد في الربط بين معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحوال وقعت في الدهر الأول وبين إثبات صحة نبوته؛ لأن عدم علمه بهذه الحوادث ليس دليلًا على عدم نبوته؛ لأن النبي لا يعلم الغيب، ولا يعلم مِن الماضي إلا ما أخبره به ربه.

وكنوع من إقامة الحجة عليهم ضرب القرآن لهم مثلًا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نبيهم الأشهر، فإذا كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد خفيت عليه مسائل من العلم وسافر إلى مجمع البحرين ليتعلمها، فهل كان خفاء هذه المسائل عنه مدعاة لاتهامه بالكذب فيما يبلغ عن ربه؟!

◀ **انتهت القصة سريعًا،** ولكن ظلَّ المَعْلَم الرئيس لها هو: ضرورة وأهمية، وشرف طلب العلم؛ فالدافع الذي جعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يسافر هذا السفر الطويل الذي وجد منه النصب والتعب هو الرغبة في تحصيل العلم، والذي جعل الخضر يكون في منزلة المُعلِّم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ -رغم أنه نبي، ومِن أولي العزم مِن الرسل- هو العلم، والذي مكَّن الخضر مما قام به من أفعال هو العلم الذي وهبه الله له، والذي جعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يقبل تصرفات الخضر بهذه الطريقة هو غياب هذا النوع مِن العلم.

إن مجيء هذه القصة بعد قصة صاحب الجنتين التي تحكي تجربة دعوية في مجتمع ينعم فيه صاحب الدعوة بحرية الحركة، وقبل قصة ذي القرنين التي تحكي تجربة دعوية أيضًا، ولكن بعد حصول التمكين والقوة والسلطان، إشارة إلى أن العلم أحد أهم المحطات على طريق التمكين، بل لا يحدث التمكين الحقيقي إلا بعد أن تُحصِّل الفئة المؤمنة القدر الواجب من العلم، وتبذل المهج في سبيله.

العزيمة الصادقة

رسائل المشهد:

- ۞ الهمة العالية والسعي الدءوب.
- ۞ الحياة تعود إلى السمكة.
- ۞ حسن الصحبة.
- ۞ ضريبة التجاوز.
- ۞ إقالة العثرة.

المشهد الأول

العزيمة الصادقة

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ
بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا
قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾
قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ
إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ
ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

لِفَتَاهُ: لخادمه يُوشَعَ بن نُون.

لا أَبْرَحُ: لا أزال أتابع المسير.

حُقُبًا: زمنًا طويلًا. **مَجْمَعَ**: ملتقى.

سَرَبًا: طريقًا مفتوحًا في الماء. **أرَأَيْتَ**: أَتَذْكُرُ؟!

فَارْتَدَّا: فَرَجَعَا. **عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا**: يتتبعان آثار أقدامهما.

رسائل من قلب المشهد:

➤ في هذا الجزء من القصة ينقل لنا القرآن الحوار الذي دار بين موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين فتاه الذي صحبه معه في هذه السفرة، وقد أفصح موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عمَّا عزم عليه مِن التوجُّه إلى مكانٍ يُقال له: مَجْمَع البحرين، وهو المكان الذي سيجد فيه الخضر، وهذا المكان علامته أن تدُبَّ الحياة في السمكة التي معهما وتقفز إلى المياه، فإذا حدث ذلك؛ فهذا هو مكان اللقاء المرتقب بينهما.

أعلم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فتاه بهذه العلامة حتى يُذَكِّره بها فور وقوعها، ولكن الذي حصل أن الفتى نَسِيَ إخبار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بما حدث من عودة الحياة إلى السمكة، فاستمرَّا في سيرهما، حتى نال منهما التعب وشعرا بالجوع، وطلب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من فتاه أن يجلسا للراحة والغذاء، هنا تذكر الفتى أمر السمكة التي قفزت إلى البحر، وأخبر موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمكان الذي حدث فيه ذلك، وهو عند صخرة مرّا عليها في الطريق، فعلم موسى أن هذا هو المكان المطلوب فرجعا إليه طلبًا للقاء الخضر.

١ - الهمة العالية والسعي الدءوب:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾:

➤ ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ ﴾... هذا هو الشعار الذي رفعه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ليكون محفزًا له ومعينًا على هذه الرحلة الشاقة التي بدأها، مع أنه لا يعرف على وجه الدقة متى وأين ستنتهي به، فليس معه في هذه الرحلة مرشدًا ولا خِرِّيتًا، ولكنه يسير وفق ما وُصف له، وما أُخبر به من علامات.

والهدف المحدد الذي وضعه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لنفسه هو أن يصل إلى منطقة مجمع البحرين؛ تلك النقطة التي سيحدث فيها اللقاء بينه وبين مَن يسعى للتعلم على يديه، وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف لن يتراجع أو يتباطأ أو تنصرف عنه همته، ولكنه سيواصل السير، ويستمر في بذل الجهد، حتى لو كلفه ذلك الأمر عشرات السنين أو مُددًا طويلة من الزمن.

➤ إن هذه الهمة العالية، وهذا البذل المتفاني ليذكرنا بالشعار الذي رفعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في موطنٍ آخر عندما قال له الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، فكان رد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه:٨٤]، فهدف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الفوز برضا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلذلك لم ينتظر قومه حتى لا يؤخروه عن مراده، ولكنه أسرع في السير وتعجل حتى يبلغ إلى مراده.

وهكذا نتعلم من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الجدية والهمة العالية، والسعي لتحقيق الأهداف وإنجازها؛ فلولا هذه الهمة من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما وصل إلى هدفه، ولما نال هذه المكانة، وتأمَّل في سعي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في طلب العلم، وكم كلَّفته هذه الرحلة من جهدٍ ومشقةٍ، ليتعلم ثلاث مسائل مِن العلم لم يكن على علمٍ بها!

➤ فإذا رأيتَ هذا النشاط وصدق العزم على طلب العلم من كليم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونظرتَ إلى أحوالنا؛ وجدتَ أمورًا عجيبة، فرغم أن السبل في زماننا ميسرة عن ذي قبل، إلا أن ضعف الهمة،

وفتور العزيمة يكاد يكون هو السمة الغالبة على كثيرٍ مِن الناس(١).

٢- الحياة تعود إلى السمكة:

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾:

عندما حان الأجل، ووصل موسى وفتاه إلى الموضع المحدد، عادت الحياة إلى السمكة المملوحة، فقفزت في الماء مرةً أخرى! وكان هذا الأمر مِن أحد العجائب الكثيرة التي جاءت في ثنايا القصة، وهي على أي الأحوال ليست بأعجب مما سيشاهده موسى بعد ذلك خلال الرحلة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمر الفتى بحمل حوت مملوح معه، وقيل له: متى فقدت الحوت، فهو ثمة، فسارا حتى بلغا مجمع البحرين، وهناك عين يُقال لها: عين الحياة، فناما هنالك، وأصاب

(١) انظر مثلًا إلى علم الحديث: تجد أن الحديث الذي أفنى فيه المُحدِّثون أعمارهم لكي يوثِّقوه ويحفظوه ويدوِّنوه، يحصل أحدنا عليه بضغطة زر على جهاز محمول داخل جيبه، أو يعثر عليه عن طريق تقليب بضع ورقات في كتاب، ومع ذلك لا نعطي للعلم حقه، ولا نقوم بواجبه، فإلى الله المشتكى!

الحوت من رشاش ذلك الماء، فاضطرب وكان في مكتل مع يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطفر من المكتل إلى البحر، فاستيقظ يوشع عَلَيْهِ السَّلَامُ وسقط الحوت في البحر»[١].

وفي هذا المشهد يقف الإنسان متأملًا في عجائب قدرة الله، وما قدَّره الله عَزَّوَجَلَّ مِن أسبابٍ ظاهرةٍ، فمَن الذي أوحى إلى السمكة أن تقفز في البحر عند هذه النقطة؟! ومَن الذي أعاد إليها الحياة بعد أن تملَّحت وأصبحت جاهزةً للأكل؟! إنه الله عَزَّوَجَلَّ، الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تفنى معجزاته، ومع ذلك تبقى الأسباب لها دورها وفاعليتها، حتى يتربَّى الإنسان على التوكل مع الأخذ بالأسباب.

٣- حسن الصحبة:

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾:

السفر يُسفر عن أخلاق الرجال، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعامل فتاه كما يجب أن يتعامل، وعلى مدار الرحلة نجده يجمع بينه وبين فتاه في الخطاب، وعندما حان موعد الغذاء طلب منه إعداده ليأكلا نفس الطعام سويًّا.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٧).

وهكذا تكون **الصحبة الصالحة**، تعاون وتغافر، وتراحم وترفُّق، وتواضع، فالكبير يرحم الصغير ويحنو عليه، ويتواضع معه، والصغير يحترم الكبير ويحفظ له مكانته وقدره، ويعينه ويساعده، ويترفق في تعامله معه، والكل يعامل إخوانه باللين والرفق، والتغاضي عن الزلّات، وتحمُّل اختلاف الأذواق، والعادات والطباع.

٤- ضريبة التجاوز:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾:

هذا النصب لم يظهر عليهما إلا بعد أن جاوزا الحد المرسوم بمرحلةٍ يسيرةٍ؛ رغم أن السفر كان شاقًّا وطويلًا، ولعل الله عَزَّوَجَلَّ أراد أن ينبههما لذلك بإشارة خفية تجعل مِن اليسير عليهما الرجوع إلى المكان المطلوب.

فإذا كانت مخالفة يسيرة غير مقصودة وقعت من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفتاه جعلتهما يشعران بالنصب والتعب؛ فكيف بالمخالفات الجسيمة المتعمَّدة؟! وكيف بالمداومة على المعاصي والذنوب والإصرار على فعلها وكثرة تكرارها؟! وكيف بالمجاهرة بها وإعلانها وعدم الحياء من إظهارها؟!

➤ إنَّ حلم الله على عباده هو الذي يمنع نزول الغضب على مَن يعصيه ويخالف أوامره، ولولا هذا الحلم لهلك العصاة جميعًا، ولكن الله يمهل لهم لعلهم أن يرجعوا ويتوبوا؛ إلا أنَّ هناك شقاءً وألمًا لابد لكل عاصي أن يشعر به ويكتوي بناره، وهناك ضنك وضيق وشقاء، يشعر به كلُّ مَن ابتعد عن الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا جزاء عادل، وعقوبة مستحقة، وإنذار للعبد حتى لا يتمادى.

٥- إقالة العثرة:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾:

➤ رجع موسى وفتاه على طريقهما يقُصَّان آثار مشيهما ويقفوان أثرهما، والملاحظ هنا: أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يعاتِب الفتى ولم يعنِّفه، رُغم أنه أخطأ، ورغم أهمية اللقاء، وبُعد المكان، وشدة التعب والجوع، فضلًا عمَّا يترتب على ذلك التأخير من آثار أخرى؛ إلا أنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حليمًا على فتاه، فعفا عنه وغفر له زلَّته.

وكما أقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عثرة الفتى، أقال الله عثرته بعد قليل، فقد تحمَّله الخضر عندما نسي وسأله في المرة الأولى على خلاف المتفق عليه بينهما، ثُم تحمله بعد ما سأله في المرة الثانية؛ فإذا أردتَ أن يرزقك الله حسن معاملة الخلق لك فبادر بحسن معاملتك لغيرك؛ فإن صنائع المعروف لا تضيع، والجميل لا يُنسى.

كتابي صديقي

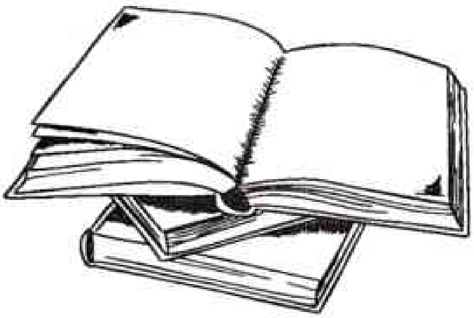

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٦٠) حتى الآية رقم: (٦٤)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على **وسائل التواصل الاجتماعي** الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر **العلم النافع**، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة **النشر الهادف**، والمحتوى النظيف.

قصة_موسى_والخضر

العزيمة_الصادقة

المَعْلَم الرئيس لقصة الخضر هو: ضرورة وأهمية، وشرف طلب العلم؛ فالدافع الذي جعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يسافر هذا السفر الطويل الذي وجد منه النصب والتعب هو الرغبة في **تحصيل العلم**، والذي جعل الخضر يكون في منزلة المُعلِّم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رغم أنه نبي ومن أولي العزم من الرسل هو العلم، والذي مكَّن الخضر مما قام به من أفعال هو العلم الذي وهبه الله له، والذي جعل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يقبل تصرفات الخضر بهذه الطريقة هو غياب هذا النوع من العلم.

إن مجيء قصة موسى والخضر عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ بعد قصة صاحب الجنتين التي تحكي تجربة دعوية في مجتمع ينعم فيه صاحب الدعوة بحرية الحركة، وقبل قصة ذي القرنين التي تحكي تجربة دعوية أيضًا، ولكن بعد حصول التمكين والقوة والسلطان، إشارة إلى أن العلم أحد أهم المحطات على طريق التمكين، بل لا يحدث التمكين الحقيقي إلا بعد أن تُحصِّل الفئة المؤمنة القدر الواجب من العلم، وتبذل المهج في سبيله.

رحلة موسى عَلَيْهِالسَّلَامُ مع فتاه تعلمنا كيف تكون الصحبة الصالحة، تعاون وتغافر وتراحم، وترفُّق وتواضع، فالكبير يرحم الصغير ويحنو عليه ويتواضع معه، والصغير يحترم الكبير ويحفظ له مكانته وقدره، ويعينه ويساعده ويترفق في تعامله معه، والكل يعامل إخوانه باللين والرفق والتغاضي عن الزلّات، وتحمُّل اختلاف الأذواق، والعادات والطباع.

مجمع البحرين

رسائل المشهد:

- النفسية الرحيمة.
- العلم اللدُنّي.
- الأدب الجم.
- نصيحة مشفق.
- العزم الأكيد والصبر المديد.
- الصحبة المشروطة.

المشهد الثاني

مجمع البحرين

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾:

بيان معاني الكلمات:

مِن لَّدُنَّا: مِن عندنا.

مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا: ما يخفى عليك علمه.

رسائل من قلب المشهد:

➤ وصل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى المكان الذي ينتظره فيه الخضر، ودار بينهما حوار قصير طلب فيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الخضر أن

يصطحبه ليتعلم من علمه، ورد عليه الخضر بأنه لن يتحمل ما سيراه منه؛ لأنه لم يحط بالحِكَم الخفيّة من ورائها، ولكنَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تعهَّد بالصبر والطاعة، فأكد الخضر على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شرط الصُحبة وانطلقا معًا وفق هذا الشرط.

١- النفسية الرحيمة:

قال الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾:

ما أجمل هذه النعمة التي أعطاها الله للخضر = نعمة الرحمة! فإذا كان اتصاف الإنسان بالرحمة بشكلٍ عامٍّ مجلبة لمدحه ودافعًا لمحبة الخلق له، فما الظن بالرحمة الخاصة التي وهبها له الله مِن عنده للخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى فاضت على مَن حوله مِن كثرتها ووفرتها؟!

والرحمة أثر من آثار القرب من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن قساة القلوب غلاظ الأكباد يُحرمون هذه النعمة بسبب بُعد قلوبهم عن الله، وقد جمع الله للخضر بين العلم والرحمة؛ ولكنه قدّم الرحمة على العلم؛ لأن العالِم لابد أن يكون رحيمًا بالناس مشفقًا عليهم، ولا يكون عالمًا

ولا عارفًا بالله مَن أحبَّ الهلاك للناس، أو تعمَّد التضييق عليهم، بل يكون العالِم حريصًا على هداية الخلق، حزينًا على بُعدهم عن الهداية، متمنيًا لهم الخير والفلاح.

٢- *العلم اللدُنّي*:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾:

➤ علَّم الله الخضر علمًا خاصًّا مِن عنده، حيث كشف له عن أنواع من الحِكَم الخفية التي لا يطلع عليها البشر، بل هي بالنسبة لمن يجهلها من الغيب المحض، وقد جاء في الحديث أن موسى قال للخضر: «... **جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدا، قَالَ: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ أَنْبَاءَ التَّوْرَاةِ بِيَدِكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ، يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَجَاءَ طَائِرٌ، فَأَخَذَ بِمِنْقَارِهِ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ فِي عِلْمِ اللهِ، إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ...**»(١).

ما أجمل هذا الدرس البليغ الذي بدأ به الخضر رحلته مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ!

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٦).

هذه الجملة المختصرة التي تكشف عن علم الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بحقيقة نفسه ومدى حاجتها إلى خالقها، وتكشف عن نفسية سويّة تُسنِد الفضل إلى صاحب المِنَّة الحقيقية، كما أنها تبيِّن أثر العلم في تقويم سلوك صاحبه، فإنما العلم الخشية، فمع علم الخضر بأشياء تخفى على معظم الخلق؛ إلَّا أنه يُقر في نفسه بضآلة حجم هذا العلم مقارنة بعلم الله الواسع.

➤ كما كشف هذا الموقف عن **خلق التواضع** الذي تحلَّى به الخضر، فرغم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أتى إليه متعلمًا ساعيًا في مصاحبته وملازمته؛ إلا أنه حفظ لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قدره ومكانته، وبيَّن له أن العلاقة بينهما ليست علاقة تلميذ بمعلمه، وإنما خصَّ الله كلًّا منهما بعلمٍ لا يعلمه الآخر، وهذه العلوم وغيرها لا تُنقص مِن علم الله إلا «**ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**»، أي: لا تُنقص شيئًا على الحقيقة، وإنما هو مِن باب ضرب الأمثال.

٣- الأدب الجم:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾:

يطلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ **من الخضر مصاحبته بتلطفٍ وحسنِ** أدبٍ، رغم أن مقامه أعلى من الخضر، ومَنزلته عند الله أفضل، ولكنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلمنا درسًا في أدب التعامل مع المعلِّم، واحترام مقامه، حتى لو كان المعلم أصغر سنًّا أو أقل منزلةً من المتعلم على يديه، ولكن العلم له مهابته وتوقيره، واحترام المعلم فرع على توقير العلم ورفعة شأنه.

➤ **إن توقير المعلِّم هو السبيل الوحيد الذي مِن خلاله ينال الطالب علوم أستاذه،** وبدون توفر هذا الأدب في سلوك طالب العلم، فلن يجد له منبعًا صافيًا يتلقّى منه العلوم، وربَّما ظل طُوال حياته ينتقل من معلّمٍ إلى آخر، ومِن شيخ إلى شيخ دون أن يُحصِّل شيئًا من العلوم، فضلًا عن أن يُحصل الأدب الذي هو الثمرة المرجوة من العلم، فمن لم يتعلم الأدب من شيخه ومعلمه فلم يتعلم شيئًا، ولن ينفعه حينها كثرة المعلومات ولا غزارة المسائل، بل تكون حجةً عليه، وخصمًا من رصيده، وإذا قُدر لهذا الطالب أن يكون معلمًا في يومٍ مِن الأيام، فلن تنتفع منه الأمة بشيء، بل سيكون بؤرةً يجتمع حولها الفاسدون وغير الأسوياء ممن أراد مِن هذا العلم مآرب أخرى.

٤- نصيحة مشفق:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾:

➤ ردَّ الخضر على طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمصاحبته رد المشفق الذي يتوقع مآلات الأمور، فالعلم الذي عنده ليس هو العلم الظاهر الواضح الأسباب، إنما هو جانب من العلم اللدنّي الذي أطلعه الله عليه، ومِن ثَمَّ فلا طاقة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصبر على أفعال الخضر؛ لأنَّ ظاهرها يصطدم بما يعلمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشريعة التي حمَّله الله أمانة تبليغها، ولابد له من إدراك ما وراء هذه الأفعال من الحكم المغيبة، وإلا فسيعتبرها تصرفات مصادمة للشريعة، وهذا ما كان يخشاه الخضر.

وحتى لا يحزن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذلك، أخبره الخضر أن عدم صبره على ما سيجده من أمور غريبة، ليس نابعًا من تقصيرٍ منه ولا قلة فهم، وإنما عدم معرفة بأمورٍ لم يحط أحدٌ مِن البشر بعلمها وبمعرفتها؛ وبالتالي فاستنكاره وعدم صبره شيء مُتوقَّع، ولا ذنب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك.

٥- العزم الأكيد والصبر المديد:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾:

➤ لم يتراجع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عما عَزَم عليه، ولم تزده كلمات الخضر إلا إصرارًا على مواصلة السير في رحلة طلب العلم، التي قطع من أجلها أسفارًا بعيدة، وأما بخصوص خوف الخضر مِن عدم تحمله لما سوف يراه؛ فقد طمأنه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخصوص هذا الأمر، وقدَّم المشيئة في ذلك، وزاد على تعهده بالصبر أن يكون سامعًا لأوامره مطيعًا لما يأمره به.

وتقديم المشيئة في الأفعال والأقوال من الدروس الكبرى التي تؤكد السورة عليها، فإن سبب تأخر الوحي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بسبب عدم ذكر المشيئة، بينما سبقت المشيئة قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبويه وإخوته، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف:٩٩].

وفي قول الرجل الصالح لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:٢٧]، وفي قول إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، ولو لم يقدِّم بنو إسرائيل المشيئة في قولهم: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:٧٠]؛ لما هداهم الله إلى البقرة التي يبحثون عنها.

وهنا لمحة أخرى من تواضع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمن سيتعلم على يديه، وسيكون له بمنزلة القائد والمعلم؛ إن كثيرًا مِن الأعمال الصالحة ربما تتعطل أو تتوقف بسبب قلة المطاوعة وكثرة المنازعة، وقلة الصبر والتنافس غير المحمود، وعدم إحسان كل فرد لعمله، والتفرغ لعدِّ الأخطاء والوقوف أمام الزلات؛ فهلَّا تعلم الدعاة إلى الله من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! وهل نطْمح أن نرى شعار كل عامل لدين الله عَزَّوَجَلَّ مع شركائه في العمل، ورفاقه على الدرب هو: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾؟!

إن الجزع وعدم التحمل داءٌ فتاك يصيب كثيرًا مِن الدعاة فيُقعدهم عن السير، ويثبط عزيمتهم عن مواصلة الطريق، كما أن كثرة الخلافات والتنازع والجدل من أشد الأمور خطرًا على القلوب، ومِن أكثر ما يُحمِّل النفس بالضغائن والأحقاد، فيكثر الفشل، ويدب الشقاق بين رفقاء الطريق الواحد، والعلاج الحاسم الذي يقطع دابر كل هذه الآفات، هو تعلُّم أدب السمع والطاعة، والتخلُّق بفضيلة الصبر.

٦- الصحبة المشروطة:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾:

مِن الواضح أن الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لديه حرصٌ على أن تستمرَّ صحبة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له، ولِمَ لا يكون حريصًا وهو الولي[1]

(١) هناك خلاف قوي بين أهل العلم حول الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: هل هو نبي موحى إليه، أو ولي يوحي الله له بالأمر بالكشف أو الإلهام أو غيره، والخلاف في ذلك سائغ.

الذي يعرف منزلة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! ولكنه في نفس الوقت يخشى ألا يتحمل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما سيراه من أفعال مستنكرة، بل بعضها شديد القبح والنكارة، مثل: قتل الغلام؛ لذلك كان شرط الخضر الذي صاغه بعبارة واضحة هو: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

➤ فلم يكتفِ الخضر بتعهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالصبر والسمع والطاعة، ولكنه كان أكثر تحديدًا لمراده؛ لأن الخضر يعلم مِن طبيعة الحال: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سوف يعترض عليه بمجرد أن يراه يفعل فعلًا مستنكرًا عنده، فأراد أن يؤكد عليه أن يمسك لسانه عن السؤال والاعتراض، حتى يكون الخضر هو مَن يفسِّر له ما غمض عليه فهمه.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٦٥) حتى الآية رقم: (٧٠)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_موسى_والخضر

 # مجمع_البحرين

الرحمة أثر من آثار القرب من الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن قساة القلوب غلاظ الأكباد يُحرَمون هذه النعمة؛ بسبب بُعد قلوبهم عن الله، وقد جمع الله للخضر بين العلم والرحمة، ولكنه قدَّم الرحمة على العلم؛ لأن العالِم لابد أن يكون رحيمًا بالناس مشفقًا عليهم، ولا يكون عالمًا ولا عارفًا بالله مَن أحبَّ الهلاك للناس، أو تعمَّد التضييق عليهم، بل يكون العالم حريصًا على هداية الخلق، حزينًا على بُعدهم عن الهداية، متمنيًا لهم الخير والفلاح.

طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الخضر مصاحبته بتلطفٍ وحسنِ أدبٍ، رغم أن مقامه أعلى من الخضر، ومَنزلته عند الله أفضل، ولكنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلِّمنا درسًا في أدب التعامل مع المعلم، واحترام مقامه، حتى لو كان المعلم أصغر سنًّا أو أقل منزلةً من المتعلم على يديه، ولكن العلم له مهابته وتوقيره، واحترام المعلم فرع على توقير العلم ورفعة شأنه.

قصة الخضر تقول لنا: إن كثيرًا من الأعمال الصالحة ربما تتعطل أو تتوقف بسبب قلة المطاوعة وكثرة المنازعة، وقلة الصبر والتنافس غير المحمود، وعدم إحسان كل فرد لعمله، والتفرغ لعدِّ الأخطاء والوقوف أمام الزلات؛ فهلا تعلَّم الدعاة إلى الله من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وهل نطمح أن نرى شعار كل عامل لدين الله عَزَّوَجَلَّ مع شركائه في العمل، ورفاقه على الدرب هو: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾؟!

قصة الخضر تقول لنا: إن الجزعَ وعدم التحمل داءٌ فتاكٌ يصيب كثيرًا مِن الدعاة، فيُقعدهم عن السير، ويثبط عزيمتهم على

مواصلة الطريق، كما أن كثرة الخلافات والتنازع والجدل من أشد الأمور خطرًا على القلوب، ومن أكثر ما يُحمِّل النفس بالضغائن والأحقاد، فيكثر الفشل، ويدب الشقاق بين رفقاء الطريق الواحد، والعلاج الحاسم الذي يقطع دابر كل هذه الآفات، هو تعلم أدب السمع والطاعة، والتخلق بفضيلة الصبر.

الحوادث الغامضة

رسائل المشهد:

- التدرج في العتاب.
- الالتماس المُهذَّب.
- الفراق المؤلم.

المشهد الثالث

الحوادث الغامضة

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ
أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ
قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةَۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ
عَن شَيْءِۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ
لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا: يعني فعلتَ شيئًا منكرًا.

وَلَا تُرْهِقْنِي: لَا تُكَلِّفْنِي.

زَكِيَّةً: طاهرة لم تبلغ حد التكليف.

بِغَيْرِ نَفْسٍ: بغير قصاص.

اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا: طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ: أي: أوشك على السقوط لميلانه.

فَأَقَامَهُ: أي: أصلحه حتى لا يسقط.

رسائل مِن قلب المشهد:

➤ انطلق موسى والخضر يمشيان على ساحل البحر يلتمسان مَن يحملهما، حتى مرت بهما سفينة فسألا أهلها أن يحملوهما فوافقوا؛ فلما اطمأنَّا فيها ولجت بهما مع أهلها، أخرج الخضر منقارًا ومطرقة، ثم عمد إلى ناحية من السفينة فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحًا وجلس ليرقِّعها.

هنا تعجب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ كيف يخرق الخضر سفينة في وسط البحر وهي تحملهما وتحمل معهما ركابًا؟!

إن ظاهر الأمر: أن هذه الفعلة تُعرِّض السفينة وركابها لخطر الغرق، فنسي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شرط الصحبة، وأنكر على الخضر فعلته، ولكنه عاد واعتذر لمّا ذكّره الخَضِر بالشرط الذي اتفقا عليه.

➤ ثم خرجا من السفينة، ودخلا على قرية، فإذا غلمان يلعبون فيها، فأخذ منهم غلامًا فقتله، فرأى موسى صبيًّا صغيرًا بريئًا يُقتل بلا ذنب، فأنكر عليه للمرة الثانية، فإن كانت الحادثة الأولى يتطرق إليها الاحتمال، فإن هذه الحادثة لا مجال -في نظره- لتأويلها أو التماس العذر فيها، ولم يملك الخضر إلا أن يُذكّره بشرط الصحبة مرةً أخرى، فقال له موسى: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فقد أعذرت في شأني.

➤ ثم دخلا على قرية فطلبا من أهلها الطعام فأبوا أن يضيفوهما -رغم أنهما جائعين غريبين-، ومع هذا البخل الشديد من أهل القرية؛ إلا أن الخضر وجد فيها جدارًا يوشك أن يسقط فهدمه ثم بناه مجانًا دون طلب أجرة، فقال له موسى: قد استطعمناهم فلم يطعمونا، وطلبنا ضيافتهم فلم يُضيِّفونا، ثم أنتَ تقدِّم لهم الخدمة مجانًا بلا مقابل، وكان الأولى بك أن تتقاضى على ذلك أجرًا، وهنا تحقق شرط الفراق الذي قطعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على نفسه؛ فافترقا.

١ - التدرج في العتاب:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾:

رغم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وافق على شرط الصحبة مع الخضر، وتعهد على نفسه بالسمع والطاعة؛ إلا أن التجربة العملية لها وقع مختلف، وعند أول احتكاك مع الحالة الواقعية لم يتحمَّل عَلَيْهِ السَّلَامُ السكوت الذي تعهد به قبل انطلاق الرحلة، وإنما أنكر عليه ما رآه بطريقةٍ تلقائيةٍ.

◄ وقد أنكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الخضر مرتين:

الأولى: عند خرق السفينة، وقد وصفَ فيها فعله بأنه: ﴿ شَيْئًا إِمْرًا ﴾، **والثانية:** عند قتل الغلام، وقد وصف فيها فعله بأنه: ﴿ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾، ورغم أن عتاب الخضر كان عتابًا رقيقًا لم يزد فيه على تذكيره له بأول جملة قالها له عندما طلب مصاحبته: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾، ومع أنه وقع في عين ما سبق أن حذره منه الخضر -وهذا يستجلب في العادة مزيدًا من العتاب-، لكن الخضر لم يفعل.

وزيادة على هذا الترفق في العتاب، استعمل الخضر مبدأ التدرج في توجيه اللوم، فالعتاب على الفعل أول مرة يختلف عن تكراره للمرة الثانية؛ لذلك غلَّظ الخضر قليلًا من لهجة الخطاب بقوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بينما قال في الأولى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ﴾، وهذا ملمحٌ تربويٌّ مهم يجمل بالدعاة والمربين أن ينتبهوا له.

٢- الالتماس المُهذَّب:

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾:

- أيقن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمخالفته للشرط المتفق عليه بينهما، فبادر إلى الاعتذار، وهذا خُلُق كريم منه عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على تواضعه وطيب معدنه، فلم يستنكف أن يعترف بالخطأ وأن يتأسف عليه، وهذا درسٌ تربويٌّ بليغ لكلِّ مَن يقرأ القصة، فإذا كان الأنبياء يبادرون بالاعتذار عند وقوع الخطأ منهم ولو نسيانًا، فكيف بغيرهم؟!

وهذا يدلنا أيضًا على أن الاعتذار لا يقلل مِن شأن الإنسان، بل يزيده رفعة وشموخًا، فخُلُق الاعتذار لا يقوى عليه إلا الأسوياء الأنقياء، أما المتكبرون؛ فإنهم دائمًا يأنفون مِن الاعتذار والإقرار بالخطأ.

➤ **ومِن لطائف الآيـة:** أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من الخضر إعفاءه من إيقاع العقوبة به، فقد كان من الممكن أن ينهي الخضر علاقته بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فور مخالفته للشرط، ولو فعل ذلك لما كان مخطئًا؛ بل هذا هو مقتضى الشرط بينهما، ولكن الخضر أحسن إليه فقبل عذره وعفا عنه، وهذا يدلنا على أن المخطئ عليه أن يتحمل نتيجة خطئه، وأن يكون مستعدًّا لتحمل التبعات، وفي نفس الوقت يجمل بصاحب الحق أن يعفو ويغفر.

لذلك شعر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحرج بعد ما عفا عنه الخضر مرتين، فأراد أن يقطع دائرة الاعتذار المتكرر بأن يُلزم نفسه بالفراق عند المخالفة، فقال له: «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا»؛ لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ، فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا**»(١).

٣- الفراق المؤلم:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾:

---

(١) رواه البخاري (٣٤٠١).

الملاحظ هنا: أن الخضر لم يعاتب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل انتقل مباشرة إلى تطبيق الأمر الذي ألزم به موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفسه، وهو: الفراق إذا تكرر السؤال، ورغم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي ألزم نفسه بالشرط؛ إلا أنه لم يطق أن يلتزم به؛ لأنه رأى بعينه أمورًا ظاهرة النكارة -في نظره- ولا يمكنه أن يسكت عنها.

◀ ثم انتقل السياق بعد ذلك إلى إبراز الحِكَم الخفيّة من وراء هذه الأفعال حتى يعلمها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد قصَّها الله علينا لنتعلم منها أيضًا ما خفي من أمر هذه الأحداث.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1].

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٧١) حتى الآية رقم: (٧٨)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_موسى_والخضر

 # الحوادث_الغامضة

رغم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وافق على شرط الصحبة مع الخضر، وتعهد على نفسه بالسمع والطاعة؛ إلا أن التجربة العملية لها وقع مختلف، وعند أول احتكاك مع الحالة الواقعية لم يتحمَّل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ السكوت الذي تعهد به قبل انطلاق الرحلة، وإنما أنكر عليه ما رآه بطريقة تلقائية، وهذا يعلمنا أن التجربة العملية دائمًا لها وقع مختلف.

عندما أيقن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بمخالفته للشرط المتفق عليه بينهما، بادر إلى الاعتذار، وهذا خلق كريم منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدل

على تواضعه وطيب معدنه، فلم يستنكف أن يعترف بالخطأ وأن يتأسف عليه، وهذا درس تربوي بليغ لكل مَن يقرأ القصة، فإذا كان الأنبياء يبادرون بالاعتذار عند وقوع الخطأ منهم ولو نسيانًا، فكيف بغيرهم؟!

اعتذار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدلنا على أن الاعتذار لا يقلل مِن شأن الإنسان، بل يزيده رفعة وشموخًا، فخُلُق الاعتذار لا يقوى عليه إلا الأسوياء الأنقياء؛ أما المتكبرون فإنهم دائمًا يأنفون مِن الاعتذار والإقرار بالخطأ.

مِن لطائف اعتذار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه طلب من الخضر إعفاءه من إيقاع العقوبة به، فقد كان من الممكن أن ينهي الخضر علاقته بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فور مخالفته للشرط، ولو فعل ذلك لما كان مخطئًا؛ بل هذا هو مقتضى الشرط بينهما، ولكن الخضر أحسن إليه فقبل عذره وعفا عنه، وهذا يدلنا على أن المخطئ عليه أن يتحمل نتيجة خطئه، وأن يكون مستعدًا لتحمل التبعات، وفي نفس الوقت يجمل بصاحب الحق أن يعفو ويغفر.

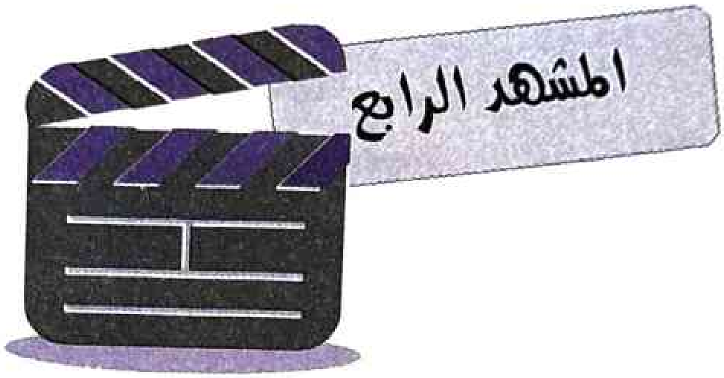

الحِكَم الخفيَّة

رسائل المشهد:

- ۞ الملك الظالم وفقه الموازنات.
- ۞ أبوة مؤمنة وبنوة كافرة.
- ۞ الكنز المدفون.
- ۞ الحكمة الإلهية.

المشهد الرابع

الحكم الخفية

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

وَرَاءَهُم: أمامهم.
يُرْهِقَهُمَا: يكلِّفهما، ويحمِّلهما.

زَكَاةً: صلاحًا وطهارة.

وَأَقْرَبَ رُحْمًا: بِرًّا بهما، ورحمة عليهما.

رسائل من قلب المشهد:

➤ في هذا الجزء من القصة يشرع الخضر في تفسير ما أشكل أمره على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما كان ظاهره مستبشعًا عنده، وقد أطلع الله الخضر على حِكَمٍ باطنةٍ في تلك الأفعال التي قام بها.

➤ **فعلَّل خرق السفينة بقوله**: إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها؛ لأنهم كانوا يمرون بها على ملكٍ ظالمٍ يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا، فأردتُ أن أعيبها لأصرف نظره عنها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها.

➤ **ثم علل قتله للغلام بقوله**: إنه كان للغلام أبوان مؤمنان فخشينا أن يحملهما حبه على متابعته على الكفر، فأردنا أن يبدلهما ربهما ولدًا أزكى مِن هذا، وهما أرحم به منه؛ لذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**»[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦١).

➤ **ثم علل بناءه للجدار بقوله:** هذا الجدار إنما أصلحته؛ لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته مال مدفون لهما، فكان في إصلاح الجدار حفظًا لمالهما من الضياع ومكافأة لما كان عليه أبوهما من الصلاح.

➤ **ثم ختم كلامه برد الأمر إلى الله فقال له:** هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة، إنما هو مِن رحمة الله بأصحاب السفينة، ووالدي الغلام، وولدي الرجل الصالح، وما فعلتُه عن أمري، لكني أُمرتُ به ووقفتُ عليه.

١- الملك الظالم وفقه الموازنات:

قال الله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾:

تلمح هنا في هذه الآية: أن القرآن لم ينسب الغصب إلى لصٍّ أو محتالٍ أو قاطع طريقٍ، ولكن نسبه إلى المَلِك، وهذا مِن أعجب العجب؛ لأن الملك بما تحت يديه من أموال وكنوز وسلطان لا يحتاج إلى سفينة المساكين، ولو أمر رجاله أن يصنعوا له أسطولًا من

أفضل السفن لفعلوا، ولكنه للأسف يتتبع سفن الفقراء والمساكين ليغتصبها منهم عنوة!

كيف نفهم تلك النفسية؟

◄ النفسية التي تعيش على القهر والاستبداد، وتتلذذ بإيلام الناس وإيذائهم، فتستحل دماءهم وأموالهم، وربَّما أعراضهم؛ هذه الشخصية المريضة تتكرر عبر الزمان والمكان، ولكن ما يُسرِّي عن المؤمن في ذلك: أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا، فمن الذي أرسل الخضر لهؤلاء المساكين وهم يعملون في البحر إلا الله عَزَّوَجَلَّ، بدون كسبٍ منهم، ولا سعي في حماية أنفسهم.

فعلِّق قلبك بالله يرسل لك جنوده التي لا يعلمها إلا هو؛ لتدفع عنك، وتحميك من شر الظالمين، وشر شياطين الإنس والجن.

كذلك مما يُسرِّي عن المؤمن: أن الحياة قصيرة، وأن هذا الملك مهما طال ظلمه فلن يعمّر في الحياة أكثر مِن عمره المقدَّر، وسيرحل تاركًا خلفه كل شيء؛ سيترك آماله وأولاده وممتلكاته، فضلًا عن سفن الناس وأموالهم.

فلا تحزن إذا رأيتَ ظالمًا قد سُلِّط على رقاب العباد؛ فما هي إلا أيامٍ وسيرحل وتنقضي أيامه، أو سترحل أنت وتتركه، وعند الله تجتمع الخصوم! المهم أن ننتبه إلى أن الحياة قصيرة بالفعل.

➤ **وهنا ملمح شديد الأهمية دلتنا عليه الآية وهو:** أن الله عَزَّوَجَلَّ لم يأمر الخضر أن يواجه الملك الظالم ويخلِّص الناس من شره! فلماذا اتجه الخضر إلى سفينة المساكين ليخرقها وقد كان من الأولى به أن يأمر الظالم أن يكفَّ أذاه وظلمه عن الناس، فلماذا أفسد سفينة الضعفاء بينما لم يوجه كلمة للملك الظالم؟!

وهنا موطن عظيم من مواطن العِبْرَة والعِظة في قصة الخضر؛ حيث إن الخضر كان يُوحى إليه كما صرَّح لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك أو أمره نبي آخر، فأفعاله التي يفعلها ليست من عنده ولا نتيجة لاجتهاده، ولكنها أوامر الوحي، وهذا يدلنا على أنه في بعض الأحيان لا نطيق أن نواجه الظالم، ولا يكون لدينا القدرة الكافية على ردعه، فليس من الحكمة وقتها أن نتصدى له، بل قد نحتال من أجل أن ندفع الضرر عن أنفسنا دون مواجهته.

◀ والقصة جاءت لتعلمنا كيف نأخذ بالأسباب؛ وإلا فمعلوم أن الله قادر على أن يهلك هذا الظالم بكلمة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ أجرى هذه الأحداث بهذه الطريقة، حتى نتعلم نحن كيف نتعامل مع الأحداث التي تواجهنا في حياتنا، فواقع القصة يقول: إن هؤلاء مساكين لا يتمكنون من مواجهة الملك، والخضر لم يكن كذي القرنين مِلِكًا ممكنًا، ولكنه كان متنقلًا في الأرض، وإنما بعثه الله من أجل حماية المساكين أولًا، ثم ليعلمنا أننا قد نُضطر لخرق السفينة بأيدينا ليس مِن باب إتلافها أو إفسادها، ولكن حماية لها ولمن فيها من الهلاك التام.

فخرق يسير يسهل معالجته حتى ولو بالترقيع، خير من فقدان السفينة بالكامل.

وهذه موازنات دقيقة قد نلجأ إليها في ظل اختلال ميزان القوى بيننا وبين أعدائنا، ويبقى العلم هو الحَكَم على أفعال الناس بعد انقطاع الوحي؛ فقد يلجأ بعض العلماء أو العقلاء في موقفٍ ما إلى خرق جزءٍ مِن السفينة بأنفسهم حماية للسفينة ككل، فلا يحتمل بعض الناس منهم هذا الفعل، وربَّما اتهموهم وطعنوا في أمانتهم وديانتهم،

ولو عقلوا وتدبروا؛ لعلموا أن مثل هؤلاء العقلاء يحفظ الله بهم الأمة من الضياع في ظل موازناتٍ صعبةٍ وخياراتٍ مُرَّة، كما اضطر الخضر إلى خرق سفينة المساكين رغبةً في حمايتها من الضياع بالكلية.

ونلمح من هذا الموقف: رحمة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأهل السفينة حيث قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخاف على الناس من الهلاك، وهكذا تكون قلوب العلماء والدعاة والمصلحين؛ قلوب تمتلئ رحمة وشفقة على مَن يدعونهم، ويتمنون لهم الهداية والصلاح، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما عبَّر عن المنهجية التي يقوم عليها أهل السنة في التعامل مع الناس، فقال: «أهل السنة يعرفون الحق، ويرحمون الخلق»(١).

٢- أبوة مؤمنة وبنوة كافرة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾:

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٢٣٨).

الإيمان هبة من الله عَزَّوَجَلَّ، فقد عَلِم الله أزلًا أن هذا الغلام سيكفر حينما يبلغ رغم أن أبويه مؤمنان؛ فليس في الإيمان نسب ولا واسطة، كما حكى القرآن عن زوجة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠].

وقال عن ابنه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود].

وفي المقابل: كانت زوجة فرعون مؤمنة، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١١].

من هنا نعلم أن الهداية بيد الله، فإذا وجدنا أن أقرب الناس إلينا لم يُرزق هذه الهداية، فلنوقن أنَّ لله في ذلك حِكَمًا، وأن الهداية لابد أنْ يستقبلها مَحِلٌ صالح وأرضٌ مهيأة، وليست بالرغبة ولا بالتمني، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

فالله أعلم بقلوب العباد، وهو مطلع على السرائر، وهو أعلم بمَن يتقي، وبمَن يعصي، كما ذكر الله حال المشركين المكذبين فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال].

ونعلم أيضًا: أن مِن الأموال والأولاد ما قد يكون فتنة لنا، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥]، فقد عَلِم الله عَزَّوَجَلَّ أن هذا الغلام سيصير فتنة لأبويه بعد ما يكبر؛ فكم مِن أولاد وأبناء تسببوا في فتنة آبائهم!

وكم مِن بناتٍ شجعن أمهاتهن على التبرج بعد ما كبرن! وكم مِن أبناء تسببوا في قطيعة رحمٍ لآبائهم وأمهاتهم! وكم مِن أبناء جلبوا لأهليهم المتاعب والمصائب حتى أنهم تمنوا أن لو فقدوهم، أو لم يكونوا قد رُزقوا بهم من البداية!

➤ **فالإنسان لا يعلم أين الخير على الحقيقة**، فقد يتمنى الولد؛ فإذا فيه شقاؤه وتعاسته، وقد يشتهي البنت فإذا فيها مذلته ومهانته، ولكن يجب على الإنسان أن يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة، وليكثر من قول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة]، فإنه مِن خير الدعاء، وأنفعه وأجمعه.

➤ **وفي الآية** تسرية عن قلب كل إنسان لم يُرزق الولد، أو كل مَن فقد ابنه بموت أو مرض أو غيره؛ فلعل الله قد رحمه من العذاب والشقاء بموته صغيرًا، وربما عافاك من الفتنة في دينك ودنياك، فإنه مِن المؤكد أن والدي الغلام قد حزنا على فقده، ولكن شهود الحكمة الإلهية في مثل هذه الحوادث من أفضل ما يعين الإنسان على مجاوزة مصابه، والتسامي على آلامه.

فعلِّق قلبك بربك، وأحسن به الظن، فما أراد الله لنا إلا الخير مهما غابت الحِكَم عن أنظارنا.

وغني عن الذكر: أن هذا القتل للغلام حدث بوحيٍ مِن الله، ولا يجوز لأحدٍ أن يفعل ذلك ويدَّعي أن هذا وحي أو إلهام مِن الله! بل لا يفعل ذلك إلا الدجّالون الكذّابون الذين يدَّعون معرفة الغيب والاتصال بالوحي، وما هو إلا وحي الشياطين والأبالسة ممن يرومون نشر الفساد والضلال والشر بين الناس.

وقد كتب نجدة بن عامر الحروري إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسأله: «هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ مِنْ صِبْيَانِ الْمُشْرِكِينَ أَحَدًا؟»، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَقْتُلُ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَأَنْتَ فَلَا تَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا عَلِمَ الْخَضِرُ مِنَ الْغُلَامِ حِينَ قَتَلَهُ، وَتُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ، فَتَقْتُلَ الْكَافِرَ، وَتَدَعَ الْمُؤْمِنَ»(١).

---

(١) رواه مسلم (١٨١٢).

٣- الكنز المدفون:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾:

وفي هذا دليل: على أن الرجل الصالح يُحفظ في ذريته، وتشمل بركة عبادته نفعهم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور:٢١]، ولم يذكر الله نوع الصلاح الذي كان مِن والدهم؛ ليفتح الباب لفعل أي نوع من الصلاح حتى لا تقصر همة البعض بتصور خاص عن الصلاح فيحجِّرون واسعًا، فليكثر الوالدان من الأعمال الصالحة فأثر ذلك ينعكس على الأبناء في الحياة وبعد المات، وقد ورد عن سعيد بن المُسَيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال لابنه: «لأزيدن في صلاتي مِن أجلك؛ رجاء أن أحفظ فيك» ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف:٨٢]»[(١)].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب (١/ ٤٦٧).

➤ **ومما يؤسف له في هذه الأيام:** أن ينهمك الوالدان في تأمين مستقبل أولادهم الدنيوي فقط، ويقصِّرون في تأمين مستقبلهم بعد مماتهم بتنشئة أبناء صالحين يدعون لهم ويترحمون عليهم، كما ذكر القرآن الدعاء للوالدين في قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح:٢٨]، وقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم:٤١]، وكما أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالترحم على والدينا فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٤].

فاصنع لنفسك كنزًا مِن البرِّ والتقوى والصلاح، يعثر عليه أولادك مِن بعدك، لكي تستمطر بسببه على قبرك الرحمات.

٤- الحكمة الإلهية:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾:

ختم الخضر كلامه عن أسرار ما قام به من أفعالٍ بتقرير الحكم الإلهية، فبعد ما أوضح لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحِكَم الكامنة وراء تلك الأفعال، أكَّد عليه أنه لم يقم بهذه الأمور من تلقاء نفسه، وإنما كانت هذه الأفعال بوحي من الله للخضر حيث أمره بالفعل وأطلعه على الحكمة منه.

وهذا الأمر لا يتحقق لأحدٍ بعد الخضر، فلا يجوز لأحدٍ أن يدَّعي علم الغيب، أو يزعم أن له اتصالًا خاصًّا بالله عَزَّوَجَلَّ يتلقَّى منه التكليفات والأوامر؛ لأن هذا الادّعاء يصادم ما نصت عليه الشريعة من انقطاع الوحي والرسالة بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعلى مذهب من يقول: إن الخضر نبي، فقد انقطعت النبوة كما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وعلى مذهب مَن يقول بولايته وأنه عبد صالح، وليس نبيًّا مرسلًا؛ فمثل هذه الولاية الخاصة لن نعرفها عن أحدٍ إلا مِن خلال الوحي أيضًا، كما عرفنا خبر الخضر من خلال القرآن والسُّنة، كما أن الولاية الربانية لا تكون إلا فيما يوافق الشرع وتحصل على يد مَن عُرف عنهم الاستقامة وصلاح الشأن، أما إذا ادّعى أحدٌ أن له علمًا لدُنِّيًّا خاصًّا كما كان للخضر علمًا خاصًّا؛ فهو دجالٌ ضالٌ يكذب على الله وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد ﷺ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٧٩) حتى الآية رقم: (٨٢)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_موسى_والخضر

 # الحكم_الخفية

مما يُسرِّي عن المؤمن في أوقات البلاء أن الحياة قصيرة، فهذا الملك الذي يغتصب سفن الناس مهما طال ظلمه فلن يعمِّر في الحياة أكثر من عمره المقدَّر، وسيرحل تاركًا خلفه كل شيء؛ سيترك آماله وأولاده وممتلكاته، فضلًا عن سفن الناس وأموالهم، فلا تحزن إذا رأيت ظالمًا قد سُلِّط على رقاب العباد، فما هي إلا أيام وسيرحل وتنقضي أيامه، أو ترحل أنتَ وتتركه، وعند الله تجتمع الخصوم! المهم أن ننتبه إلى أن الحياة قصيرة بالفعل.

لم يأمر الله عَزَّوَجَلَّ الخضر أن يواجِه الملك الظالم، وأن يخلِّص الناس من شره! فلماذا اتجه الخضر إلى سفينة المساكين ليخرقها وقد كان الأولى به أن يأمر الظالم أن يكف آذاه وظلمه عن الناس؟! ولماذا أفسد سفينة الضعفاء بينما لم يوجِّه كلمة للملك الظالم؟! إن هذا الفعل يدلنا على أنه في بعض الأحيان قد لا نتمكن من مواجهة الظالم، وقد لا يكون لدينا القدرة الكافية على ردعه، فليس مِن الحكمة وقتها أن نتصدى له، بل قد نحتال من أجل أن ندفع الضرر عن أنفسنا دون مواجهته.

قصة السفينة جاءت لتعلمنا كيف نأخذ بالأسباب، وإلا فمعلوم أن الله قادر على أن يهلك الظالم بكلمة، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ أجرى هذه الأحداث بهذه الطريقة، حتى نتعلم نحن كيف نتعامل مع الأحداث التي تواجهنا في حياتنا، فواقع القصة يقول: إن هؤلاء مساكين لا يتمكنون من مواجهة الملك، والخضر لم يكن كذي القرنين ملِكًا ممكنًا، ولكنه كان متنقلًا في الأرض، وإنما بعثه الله من أجل حماية المساكين أولًا، ثم ليعلمنا أننا قد نُضطر لخرق السفينة بأيدينا ليس مِن باب إتلافها أو إفسادها، ولكن حماية لها، ولمَن فيها مِن الهلاك التام.

قصة السفينة تعلمنا كيف نجري الموازنات الدقيقة التي قد نلجأ إليها في ظل اختلال ميزان القوى بيننا وبين أعدائنا، فقد يلجأ بعض العلماء أو العقلاء في موقفٍ ما إلى خرق جزءٍ مِن السفينة بأنفسهم؛ حماية للسفينة ككل، فلا يحتمل بعض الناس منهم هذا الفعل، وربَّما اتهموهم وطعنوا في أمانتهم وديانتهم، ولو عقلوا وتدبروا؛ لعلموا أن مثل هؤلاء العقلاء يحفظ الله بهم الأمة من الضياع في ظل موازناتٍ صعبةٍ وخياراتٍ مُرَّة، كما اضطر الخضر إلى خرق سفينة المساكين رغبةً في حمايتها مِن الضياع بالكلية.

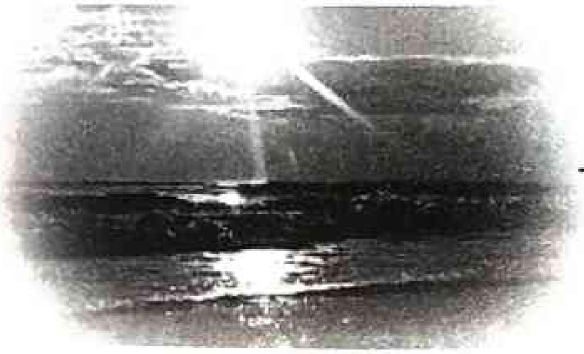

الفصل الرابع

قصة ذي القرنين وختام السورة

وقد احتوى الفصل على المشاهد الآتية:

- **المشهد الأول:** الرحلة بين المشرق والمغرب.
- **المشهد الثاني:** بناء السد.
- **المشهد الثالث:** مشاهد يوم العرض.

قصة ذي القرنين

تمهيد:

وصلت بنا السورة إلى محطتها الأخيرة، وهي إجابة السؤال الثالث من أسئلة المشركين عن رجل مَلَك المشارق والمغارب، وقد أجاب القرآن بأنه ذو القرنين؛ ذلك الرجل الذي مكَّنه الله مِن حكم العالَم كله تقريبًا، بل لم يحكم العالم المعمور فقط، بل وصل إلى أماكن بعيدة جدًّا لم يصل إليها أحدٌ قبل ذلك ناحية المشرق والمغرب.

➤ **وقد تجلَّت في هذه القصة معالم العدل والعلم والإرادة؛**

فالعدل: هو عنوان الحكم عند ذي القرنين، فما مِن مكانٍ يذهب إليه إلا ويعلي فيه راية العدل، فليس الشأن في أن تملك أو تحكم، ولكن الشأن أن تقيم العدل فيما مكَّنك الله منه؛ فهذا هو الذي يُستحق به المدح؛ وإلا فإن السورة مرَّت بنا على قصة صاحب الجنتين وما آتاه الله مِن نعمٍ عظيمةٍ ثم نعتته الآيات بأنه: «ظالم لنفسه».

أما العلم: فهو الجواد الذي امتطاه ذو القرنين ليصلح به البلاد والعباد؛ فهذا التمكين الهائل الذي تحقق لهذا الرجل الصالح ما كان

ليحصل إلا بتمكنه من نواصي العلوم الدينية والدنيوية، وليس المقصود أن يكون هو العالم بكل هذه العلوم، ولكن الأهم من ذلك أن يؤسس للمنظومة التي تستوعب داخلها هذه الكفاءات المتنوعة، وتلك الخبرات المختلفة.

أما الإرادة: فهي الباعث الرئيس لتحركات ذي القرنين في المشارق والمغارب، فلو لم تكن لديه إرادة حقيقية جازمة تجاه التغيير والإصلاح، ولو لم تكن لديه عقيدة يتحرك بها ورسالة يحمل لواءها، لما انتقل مِن مكانه ولما خرج من قصره، فالملوك عادة يألفون الدعة والراحة، ويُصابون بداء الترف والقعود، ولكننا أمام ملِكٍ مِن طرازٍ فريدٍ، ملك لا يغمض له جفن حتى يفتح أرضًا جديدة، أو يغير واقعًا سيئًا، رغم أن القرآن ذكر لنا طرفًا من قصته فقط، فما الظن بهمته في حياته كلها!

➤ **إن قصة ذي القرنين تخاطب النفوس المتشوقة إلى النصر والتمكين:** بأن التمكين ليس نزهة مترفة، ولا رحلة خلوية، ولكنه أمانة ومسئولية، وواجبات وتكاليف هي أصعب بكثيرٍ مِن واجبات فترات الاستضعاف والتضييق؛ لأن التمكين قد يأتي ثم

لا يلبث حتى يزول من يد صاحبه إذا لم يوفِّ حقه، وإذا لم يؤدِّ الواجب المفروض الذي عليه.

إن فتية الكهف لم يُكلَّفوا بأكثر مِن أن يفروا إلى الكهف، وقد كان هذا هو المتاح المقدور عليه في زمانهم؛ لذلك لم يكلفهم الله غيره، أما ذو القرنين الذي آتاه الله من كل شيءٍ سببًا، فقد كُلِّف بأن يجوب البلاد من المشرق إلى المغرب، وهذا أمر ليس بالهين، وبالتالي فيجب علينا قبل أن نطلب التمكين أن نُحصِّل الأسباب التي تجعلنا نحافظ عليه مِن الزوال متى رَزَقنا الله إياه.

➤ **إن طريق التمكين طويل**، وقد مررنا خلال السورة على عدة مراحل ومحطات حتى وصلنا إلى ذروته، التي بدأت معنا قصته من الهروب إلى الكهف، ثم انتقلت بنا إلى طور القبول المجتمعي، واستغلال المساحات المتاحة، ثم طور التأهيل والاستعداد، وصولًا إلى التمكين على يد ذي القرنين.

ورغم أن هذه القصص وقعت في أزمنةٍ مختلفةٍ، وفي أماكن متباينة؛ إلا أن القرآن قصها علينا مرتبة كأنها قصة واحدة ذات مراحل وفصول ومحطات، وهي بالفعل ملحمة من ملاحم التمكين المتكررة، والتي كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحد أبطالها، ونأمل أن نكون نحن جزءًا من حلقاتها ومراحلها كذلك.

الرحلة بين المشرق والمغرب

رسائل المشهد:

- ذروة التمكين.
- فقه التعامل مع الأسباب.
- دستور الحكم العادل.
- الهمة المكوكية.

المشهد الأول

الرحلة بين المشرق والمغرب

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾.

بيان معاني الكلمات:

سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا: سأقص عليكم من حاله خيرًا يحمل موعظة وعلمًا.

سَبَبًا: أسبابًا وطرقًا توصله إلى ما يريد من فتح المدن، وقهر الأعداء.

فَأَتْبَعَ سَبَبًا: أخذ جادًّا بالأسباب والطرق الموصلة إلى ما يريد بجد.

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ: ذات حماة، وهي الطين الأسود وغروبها إنما هو في نظر العين؛ وإلاّ فالشمس في السماء، والبحر في الأرض.

عَذَابًا نُكْرًا: عظيمًا فظيعًا.

يُسْرًا: أي لينًا من القول، سهْلًا من العمل.

لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا: لم يكن لهم يومئذٍ ثياب يلبسونها.

كَذَلِكَ: أي الأمر كما قلنا لك ووصفنا.

رسائل من قلب المشهد:

في هذا المشهد يقص علينا القرآن شيئًا من أخبار ذي القرنين؛ ولأن أحواله وأخباره كثيرة، فقد اقتصر القرآن على ذكر ثلاث رحلات من رحلاته، فذكر أنه سلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وكان له مع أهلها موقف،

ثم سلك طريقًا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المشرق، ووجد هناك حياة شديدة البدائية، ثم سلك رحلة مثيرة في ناحية من الأرض وهو الموضع الذي كان يقطنه يأجوج ومأجوج.

١- ذروة التمكين:

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾:

ما أروع التربية التي تربيها لنا هذه القصة العظيمة!

فالقرآن يرسِّخ في نفوس السامعين قاعدة جليلة، وهي: أن التمكين من عند الله، فلا تشغل نفسك به كثيرًا، إنما الواجب عليك أن تنشغل بتحصيل الأسباب الجالبة للتمكين؛ لأن التمكين ليس هدفًا مقصودًا لذاته، ولكنه مطلوب لتحقيق العبودية ونصرة الدين، ونشر الهداية والإصلاح بين الناس.

➤ فكم مِن أقوامٍ كان التمكين عبئًا عليهم، وسببًا في خسارتهم ونهايتهم، وكم مِن أناسٍ كان التمكين في حقهم فتنة وابتلاءً لم يصبروا عليه، ولم يتحملوه! كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ

وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقد ورد عنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ(١).

ثم انظر إلى حدود التمكين الذي أعطاه الله لذي القرنين؛ إنها الأرض من مشرقِها لمغربِها!

تخيل رجلًا يعطيه الله ملك الأرض، ويجعله سلطانًا على المشارق والمغارب؛ هذا الأمر يعني أن المُلك لله يعطيه لَمن أراد متى أراد؛ لأن الدنيا لا تساوي شيئًا عند الله فهي متاعٌ زائل كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد:٢٦].

ولو تأملت المواضع التي وصف الله بها الدنيا بأنها متاع في أكثر من خمسة عشر موضعًا في القرآن؛ لعلمتَ قدر وحقيقة الدنيا عند الله، وأنها لا تساوي شيئًا على الحقيقة، فلا تحزن إذا رأيتَ الله يعطي للكافرين منها ويزيدهم فيها كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٤)، وحسنه الألباني.

ثم تأمل في معنى زوال المُلك أو الزوال عنه؛ لكي تطمئن نفسك بحقارة ما يتقاتل الناس من أجله؛ فأين هو ملك ذي القرنين الآن؟!

➤ لقد زال واندثرت معالمه، وكذلك الملك كله سيزول عاجلًا أم آجلًا، فالعاجل حاصل أمام أعين الناس كل يوم؛ ممالك تقوم هنا، وممالك تسقط هناك، أقوام يرفعهم الله وآخرون يضعهم، وكل هذا على جزءٍ أو قطعةٍ من الأرض، بينما أعطى الله هذه الأرض من أقصاها إلى أقصاها لرجلٍ واحدٍ في وقتٍ مِن الأوقات.

وكذلك يزول الملك بالظلم والتجبر في الأرض كما أهلك الله قوم نوح، وعادًا، وثمود، وقوم فرعون، وغيرهم مِن الأمم المكذبة الطاغية؛ إضافة إلى ذلك: فالأرض كلها وما عليها فانية زائلة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾ [يونس:٢٤]، وكما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

٢- فقه التعامل مع الأسباب:

قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ - ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾:

المراد بالسبب هنا هو: ما يُتوسل به إلى الشيء مِن علمٍ أو مقدرةٍ أو آلاتٍ أو غيرها، وقد ذكر القرآن أن الله وهب لذي القرنين من كل شيءٍ طريقًا ووسيلة، وهيأ له ما يحصل له به التمكين، وما يؤهله للانتشار في ربوع الأرض، وهذا رزق وفضل من الله، ولكن ليس الشأن في إعطاء الأسباب، ولكن الشأن في كيفية التصرف فيها، وكيفية استغلالها.

◄ لذلك يخبرنا القرآن أن ذا القرنين قام بواجبه تجاه تلك الهبات، وسخَّر الأسباب التي أُعطيت له، فسلك السبل التي أوصلته إلى مغرب الشمس، ثم سلك السبل التي ألقت به ناحية المشرق، وهذا هو موضع المدح، وموطن القدوة؛ أن نقوم بالواجب تجاه ما يسَّر الله لنا مِن أسبابٍ متاحةٍ ومقدورةٍ، وما عجزنا عن تحصيله؛ فهو خارج عن نطاق التكليف والواجب.

٣- دستور الحكم العادل:

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ
حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا
﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾
وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾:

أرسى ذو القرنين قواعد العدل في أقوام يسكنون في مكانٍ بعيدٍ في أقصى الغرب، لا نعلم شيئًا عن سيرتهم ولا حالهم، وقد دلت الآية على أن أحوالهم كانت في فساد وظلم، ووفَّق الله ذي القرنين إلى أن يسوسهم بالعدل ويقسِّمهم قسمين: فالمكذبون المعاندون سيعاقبهم في الدنيا؛ لأنه قادر على ذلك ومتمكن منه، ثم يعاقبون في الآخرة كذلك، أما المؤمنون الصالحون: فيستحقون الجزاء الحسن عند الله، والثناء الجميل عند الناس.

وقد اتسم ذو القرنين بالقوة واتصف بالعدل، واجتماع الأمرين نادر عزيز في تاريخ الملوك والأمراء، فهناك مَن يكون قويًّا مهابًا، ولكنه يظلم ويطغى ويتجبر، ويستخدم القوة في غير محلها،

وهنـاك مَن يكـون عادلًا، لكنه ضعيـف غير قادرٍ على تدبير شـئون الحكم وأمور السياسة.

٤- الهمة المكوكية:

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴾:

◄ ما أجمل أن يسخِّر الإنسان نفسه لخدمة الدين ونشر الدعوة، رافعًا لواء الهداية والإصلاح، والإنسان مهما بذل فلن يصل إلى همة ذي القرنين الذي طاف الدنيا من أجل أن يبلغ الإيمان وينشر الهدى ويرفع الظلم والبأس عن الناس، وتأمل تعبير القرآن عن هذه الجولات المكوكية: «حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ» - ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ - «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ»! فاللهم ارزقنا همة عالية نبذلها في نشر دينك بين الخلق.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما وصل إلى مغرب الشمس كرَّ راجعًا، قاصدًا مطلعها، متبعًا للأسباب التي أعطاه الله، فوصل إلى مطلع الشمس فـ﴿ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم

مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أي: وجدها تطلع على أناسٍ ليس لهم ستر مِن الشمس؛ إما لعدم استعدادهم في المساكن، وذلك لزيادة همجيتهم وتوحشهم، وعدم تمدنهم.

وإما لكون الشمس دائمة عندهم، لا تغرب عنهم غروبًا يذكر، كما يوجد ذلك في شرقي أفريقيا الجنوبي، فوصل إلى موضع انقطع عنه علم أهل الأرض، فضلًا عن وصولهم إليه إياه بأبدانهم، ومع هذا، فكل هذا بتقدير الله له، وعلمه به؛ ولهذا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ أي: أحطنا بما عنده من الخير والأسباب العظيمة، وعلمنا معه حيثما توجه وسار»[١].

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٦).

كتابي صديقي

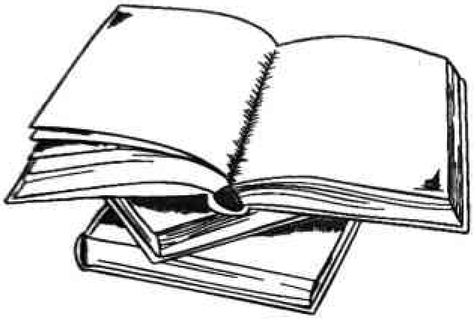

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٨٣) حتى الآية رقم: (٩١)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_ذو_القرنين

 # الرحلة_بين_المشرق_والمغرب

العدل هو عنوان الحكم عند ذي القرنين، فما مِن مكانٍ يذهب إليه إلا ويعلي فيه راية العدل؛ فليس الشأن في أن تملك أو تحكم، ولكن الشأن أن تقيم العدل فيما مكنك الله منه، فهذا هو الذي يُستحق به المدح، وإلا فإن السورة مرَّت بنا على قصة صاحب الجنتين وما آتاه الله مِن نعم عظيمة ثم نعتته الآيات بأنه: «ظالم لنفسه».

العلم هو الجواد الذي امتطاه ذو القرنين ليصلح به البلاد والعباد، هذا التمكين الهائل الذي تحقق لهذا الرجل الصالح ما كان

ليحصل إلا بتمكنه من نواصي العلوم الدينية والدنيوية، وليس المقصود أن يكون هو العالم بكل هذه العلوم، ولكن الأهم مِن ذلك: أن يؤسس للمنظومة التي تستوعب داخلها هذه الكفاءات المتنوعة، وتلك الخبرات المختلفة.

إن قصة ذي القرنين تخاطب النفوس المتشوقة إلى النصر والتمكين بأن التمكين ليس نزهة عابرة، ولا رحلة خلوية، ولكنه أمانة ومسئولية، وواجبات وتكاليف هي أصعب بكثيرٍ مِن واجبات فترات الاستضعاف والتضييق؛ لأن التمكين قد يأتي ثم لا يلبث حتى يزول من يد صاحبه إذا لم يوفِّ حقه، وإذا لم يؤدِّ الواجب المفروض الذي عليه.

إن فتية الكهف لم يُكلفوا بأكثر مِن أن يفروا إلى الكهف، وقد كان هذا هو المتاح المقدور عليه في زمانهم؛ لذلك لم يكلفهم الله غيره، أما ذو القرنين الذي آتاه الله مِن كل شيءٍ سببًا فقد كُلف بأن يجوب البلاد من المشرق إلى المغرب، وهذا أمر ليس بالهين، وبالتالي فيجب علينا قبل أن نطلب التمكين أن نُحصِّل الأسباب التي تجعلنا نحافظ عليه مِن الزوال متى رزقنا الله إياه.

بنـــاء السدِّ

رسائل المشهد:

- الخير الآسر.
- التعاون المثمر والبذل المتفاني.
- توظيف الطاقات واستغلال المواهب.

المشهد الثاني
بناء السدِّ

المشهد كما عرضه القرآن:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾:

بيان معاني الكلمات:

السَّدَّيْنِ: يعني الجبلين الحاجزين لما وراءهما.

لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا: لا يفهمون كلام مَن يخاطبهم إلا بشدةٍ وبطءٍ.

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا: يعني أجرًا مقابل العمل.

رَدْمًا: يعني حاجزًا حصينًا.

زُبَرَ الْحَدِيدِ: قِطَع الحديد العظيمة.

الصَّدَفَيْنِ: يعني جانبي الجبلين.

قِطْرًا: النحاس المذاب.

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ: أي: عجزوا عن الظهور فوقه؛ لعلوه وملاسته.

نَقْبًا: أي فتح ثغرة تحته ليخرجوا معها.

دَكَّاءَ: منهدمًا مستويًا بالأرض.

رسائل من قلب المشهد:

في هذا المشهد يقص القرآن علينا رحلة ذي القرنين إلى مكانٍ بين المشرق والمغرب، وفي هذا المكان وجد قومًا لا يجيدون التعبير؛ لعُجمة في ألسنتهم، وقصور في عقولهم وأفهامهم، ولكن الله هدى ذي القرنين إلى التواصل معهم وفهم مرادهم بما آتاه مِن الأسباب والوسائل.

وقد اشتكوا إليه الضرر الواقع عليهم من يأجوج ومأجوج؛ بسبب ما يصدر عنهم من القتل والإفساد في الأرض، وطلبوا منه أن يبني لهم سدًّا يحول بينهم وبين يأجوج ومأجوج، ووعدوه أن يبذلوا له أجرًا نظير هذا العمل العظيم.

➤ عرف ذو القرنين طلبهم وحاجتهم، فلم يتأخر في بذلها لهم بالمجان، ونسب الفضل والعلم والقدرة إلى صاحب الفضل عَزَّوَجَلَّ، حتى يعلِّق قلوبهم بالله ويرسِّخ في أذهانهم صحيح العقيدة، ولكنه طلب منهم المعونة والمشاركة في هذا العمل.

➤ وشرع ذو القرنين بما أعطاه الله من العلم والقدرة في بناء صرحٍ هندسيٍ محكمٍ، فكان هو المخطِّط للمشروع وهم مساعدون له، مجيبون لطلباته، فأحضروا له قطع الحديد حتى إذا ساوى الجبلين اللذين بني بينهما السد، أمرهم بإشعال النار وإيقادها حتى تشتد وتلتهب، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس أفرغه بين قطع الحديد، فاستحكم السد استحكامًا هائلًا وامتنع به مَن وراءه مِن الناس، مِن ضرر يأجوج ومأجوج؛ لأنهم لم يتمكنوا مِن الصعود عليه مِن أعلى، ولا نقبه مِن أسفل.

ويأجوج ومأجوج، أمتان عظيمتان العدد من بني آدم، فعَن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كما قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦]، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، ويضُمُّونَ إليهم مواشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الأَرْضِ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بذلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُونَ: قَدْ كَانَ هَا هُنَا مَاءٌ مرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ، قَالَ قَائِلُهُم: هؤُلاءِ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ!

قال: ثمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بها إلى السماءِ فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذلِكَ يَبْعَثُ الله عَزَّ وَجَلَّ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كنَغَفِ الْجَرادِ الَّذي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهَا، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسٌّ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: ألا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرُ مَا فَعَلَ هؤُلاَءِ الْعَدُوُّ؟ فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ عَلَى أنَّه مَقْتُولٌ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، ألا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ الله قَدْ كفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ»[1].

---

(١) رواه أحمد (١١٧٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٩٣).

وخروجهم يكون بعد نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهزيمته للدجال، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا،

وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

١ - الخير الآسر:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾:

➤ عرض القوم قضيتهم على ذي القرنين، وملخصها أنهم يتأذون من فساد يأجوج ومأجوج، ورغم أنهم لا يكادون يفقهون قولًا كما وصفهم القرآن؛ إلا أنهم تمكنوا من تحديد المشكلة بدقةٍ واستطاعوا أن يقترحوا لها الحل الأنسب، وهو بناء السد بحيث يحجز شر هؤلاء عنهم ويجعله قاصرًا عليهم وحدهم، وعرضوا عليه أن يعطوه نظير ذلك العمل أجرًا.

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

➤ **وقد كان رد ذي القرنين موجزًا وآسرًا**، فقد حرص أن يعود بالفضل إلى الله وينسبه إلى المُنعم الجواد؛ خاصة أنه وجد قلوب القوم معلقةً به على اعتبار أنه المنقذ لهم من ورطتهم وأزمتهم، فأراد ذو القرنين أن يربط قلوبهم بخالقهم وأن يقطع علائق النفس بالبشر، وكما ربط قلوبهم بالله في بداية العمل، فإنه كان حريصًا على تعليق قلوبهم بالله في نهايته، فعندما أتم الله عليه النعمة ببناء السد قال: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

وهذا من **أرفع مقامات الإخلاص والتجرد لله**، فإن كثيرًا من الخلق يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا كما قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨]، كما أن أكثر الناس يحبون أن يُذكروا بما يفعلوا، ويحبون أن تنتشر أخبارهم وسيرة أعمالهم بين الناس وهذا مما يُعرِّض الأعمال إلى النقص أو البطلان، بحسب تعلق قلب صاحبها بثناء الناس ومديحهم.

ثم أشارت الآيات إلى عزة نفس ذي القرنين حيث رفض عطيتهم كما رفض سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هدية بلقيس عندما عرضتها عليه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل:٣٦].

إن كثيرًا من الملوك والمسئولين ربما يأخذون من الناس أموالًا هائلة نظير ما يقدمونه لهم من خدمات، ومع ذلك يمُنّون على الناس بأفعالهم ويدفعونهم إلى شكرهم والثناء عليهم، رغم أنه من واجبهم أن يرفعوا المعاناة عن الناس ويخففوا عنهم الآلام، ويذللوا لهم المشاق والصعاب.

إن رد ذي القرنين على مَن قصدوه لإنقاذهم: رسالة إلى كل مسئول ولَّاه الله على شيءٍ مِن أمور الناس؛ ألا يتعالى عليهم، وأن يرفق بهم، وأن يقضي حوائجهم، ويخفف عنهم آلامهم، وهذا ليس تفضلًا عليهم، بل هذا هو مقتضى واجبه الوظيفي.

٢- التعاون المثمر والبذل المتفاني:

قال الله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾:

وافق ذو القرنين على مقترح البسطاء الذين لا يحسنون التعبير، وفي هذه الموافقة الفورية دلالة على تواضعه وحسن خلقه، فلم يستنكف أن ينزل على رأيهم، وينفِّذ طلبهم، وهو الملك الذي آتاه الله علم الأسباب، وبسط له من القوة والسلطان.

وفي الموافقة: دليل على اعتبار فقه الواقع؛ فهؤلاء القوم هم أكثر الناس دراية بواقعهم، وبما يصلح معهم، وقد اقترحوا بناء السد وفق رؤيتهم لأنفع الحلول، وأكثرها مناسبة للأزمة التي يعانون منها.

وفي الموافقة كذلك: دليل على اعتبار موازين المصالح والمفاسد، والقدرة والعجز؛ وإلا لماذا لم يحارب ذو القرنين يأجوج ومأجوج حتى يقضي على فسادهم ويقطع دابرهم؟! ولماذا لم يُعمل فيهم قاعدة: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾؟! الظاهر أن يأجوج ومأجوج كانوا من الكثرة والقوة بالدرجة التي تجعل القضاء عليهم أو محاربتهم شيئًا عسيرًا؛ لذلك عدل ذو القرنين عن استئصال الفساد، وانتقل إلى تقليله وتحجيمه؛ مراعاةً لموازين القوة والضعف.

➤ وهذا يدلنا على أن فقه المصالح والمفاسد ليس خاصًّا بفترات الاستضعاف فقط، بل يحتاج إليه كل أحد؛ سواء كان مستضعفًا أو ممكَّنًا.

وفي طلب ذي القرنين منهم الإعانة: فقه عظيم، وتربية عالية على العمل الجماعي، والتعاون على البر والتقوى، فقد كان بمقدور ذي القرنين أن يعمل في بناء السد بمفرده؛ لأنهم بالفعل عاجزون عن بنائه، ولكنه لم يعدم الوسيلة التي تجعلهم مساهمين معه في العمل، ومشاركين في تشييده.

وفي تأكيده أن تكون هذه الإعانة جادة وفعَّالة: دليل على أهمية أن يأخذ الإنسان بأسباب النجاح، وأن الإنجاز لا يتحقق إلا ببذل الجهد، وإتقان العمل، كما كانت أوامر الله لبني إسرائيل: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:٦٣].

فلا ينتظر العبد الثمرة المرجوة إلا من الأعمال التي أُخذت بقوة، وهذه سنة جارية من سنن الكون، فقد يأخذ الكفار بأسباب القوة فينالون المراد، وقد يفرِّط المسلمون فيها، فيصيبهم الخذلان، وتلحق بهم الهزيمة.

٣- توظيف الطاقات واستغلال المواهب:

قال الله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾:

أحسن ذو القرنين غاية الإحسان في توظيف قدرات مَن معه، وبثَّ فيهم روح النشاط والجد والعمل، فتحولوا إلى خلية نحل، وتأمل مشهد فِرَق العمل وهي تعمل وفق توجيهات ذي القرنين، فقد قسَّم ذو القرنين المهام، وحدَّد مراحل العمل وشرع في التنفيذ المتقن، فمجموعة تحضر قطع الحديد وما يستتبعه من رصٍّ وتسوية وتركيب، ومجموعة توقد النيران وتنفخ فيها حتى تزداد شعلتها ويزداد وهجها، ومجموعة تجهز النحاس المذاب لكي تصبه بين فراغات الحديد، وهكذا سار العمل في تناغم وترتيب حتى انتهى منه، وصار سدًّا منيعًا.

وقد ذكر القرآن تفاصيل ذلك المشهد بدقة، رغم أنه كان بالإمكان أن يقول: وبُني السد أو تم بناء السد، ولكن القرآن لا يذكر

لنا تفاصيل أمرٍ إلا لحكمةٍ وهدفٍ، ولعل مِن أحدِ أوجه الحكمة في ذلك: أن يعطي لنا القرآن صورة عملية، ونموذجًا تطبيقيًّا لكيفية إتمام الأعمال الجماعية؛ خاصة وأن معظم أعمال المسلمين هي أعمال جماعية؛ فالصلاة جماعية، والحج جماعي، والجهاد جماعي؛ فلا يستقيم لأمةٍ جُل أعمالها جماعية ألا تعرف آداب وفقه الأعمال الجماعية!

➤ **وترشدنا الآيات كذلك إلى ضرورة وجود القائد**، ودوره في تحقيق الإنجاز والنجاح، فهؤلاء القوم لديهم الإمكانيات، ولكنهم لم يحسنوا توظيفها، ولم يتمكنوا من توجيهها واستثمارها فيما يفيد وينفع، فرغم أن لديهم الحديد والنحاس والأدوات والموقع الجغرافي والتضاريسي المناسب؛ إلا أنهم عجزوا عن تحويل كل هذه الموارد إلى إنجازٍ واقعيٍ ملموسٍ، وعندما جاء ذو القرنين سخَّر ما لديهم مِن إمكانياتٍ في تحقيق المراد.

ومن عجائب الآية: أن ذا القرنين تمكَّن من تحويل السكون والركود إلى طاقة وحركة إيجابية؛ فجعل مِن القوم الذين لا يحسنون قولًا بناةً لأحد عجائب الزمان في وقتهم، وهذا يرشدنا إلى دور القائد في إيجاد الهدف، وصناعة التحدي، وزرع الأمل والإيجابية،

فقد حمَّلهم بالقضية ثم أرشدهم إلى مواهبهم وقدراتهم، وأشرف على عملية توظيفها، فأنقذهم من الكسل والتواني، والسلبية والشعور بالعجز والتقزم، وهكذا يجب أن يفعل الدعاة والقادة في كل مكان يذهبون إليه.

إن تجربة ذي القرنين تجربة داعيةٍ إلى الله، ومصلحٍ في الأرض قبل أن يكون ملكًا أو سلطانًا، وهي تجربة جدير بالدعاة أن يقتفوا أثرها ويسعوا لتكرارها في مجتمعاتهم، فما أكثر السدود التي يحتاج الدعاة لبنائها لحماية الناس مِن فتن الدِّين والدنيا، وما أكثر الطاقات المهدرة، والمواهب المدفونة التي تحتاج إلى خبيرٍ ماهرٍ يكتشفها، ويحسن توظيفها واستغلالها.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته، وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

---

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (٩٢) حتى الآية رقم: (٩٨)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # قصة_ذو_القرنين

 # بناء_السد

وافق ذو القرنين على فكرة بناء السد، وفي هذا دليل على اعتبار موازين المصالح والمفاسد، والقدرة والعجز؛ وإلا فلماذا لم يحارب ذو القرنين يأجوج ومأجوج حتى يقضي على فسادهم ويقطع دابرهم؟! ولماذا لم يُعمل فيهم قاعدة: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾؟!

الظاهر أن يأجوج ومأجوج كانوا من الكثرة والقوة بالدرجة التي تجعل القضاء عليهم أو محاربتهم شيئًا عسيرًا، لذلك

عدل ذو القرنين عن استئصال الفساد، وانتقل إلى تقليله وتحجيمه؛ مراعاة لموازين القوة والضعف. وهذا يدلنا على أن فقه المصالح والمفاسد ليس خاصًّا بفترات الاستضعاف فقط، بل يحتاج إليه كل أحدٍ سواء كان مستضعفًا أو ممكَّنًا.

نتعلم من طلب ذي القرنين ضرورة وجود القائد، وأهمية دوره في تحقيق الإنجاز والنجاح، فهؤلاء القوم لديهم الإمكانيات، ولكنهم لم يحسنوا توظيفها، ولم يتمكنوا من توجيهها واستثمارها فيما يفيد وينفع، فرغم أن لديهم الحديد والنحاس والأدوات والموقع الجغرافي والتضاريسي المناسب؛ إلا أنهم عجزوا عن تحويل كل هذه الموارد إلى إنجاز واقعي ملموس، وعندما جاء ذو القرنين سخَّر ما لديهم من إمكانيات في تحقيق المراد.

ذكر لنا القرآن تفاصيل مشهد بناء السد بدقة؛ رغم أنه كان بالإمكان أن يقول: وبُني السد، أو تم بناء السد، ولكن القرآن لا يذكر لنا تفاصيل أمرٍ إلا لحكمةٍ وهدفٍ، ولعل مِن أحدِ أوجه الحكمة في ذلك: أن يعطي لنا القرآن صورة عملية ونموذجًا تطبيقيًّا

لكيفية إتمام الأعمال الجماعية، خاصة وأن معظم أعمال المسلمين هي أعمال جماعية؛ فالصلاة جماعية، والحج جماعي، والجهاد جماعي، فلا يستقيم لأمةٍ جُل أعمالها جماعية ألا تعرف آداب وفقه الأعمال الجماعية!

إن تجربة ذي القرنين تجربة داعية إلى الله، ومصلح في الأرض قبل أن يكون ملِكًا أو سلطانًا، وهي تجربة جدير بالدعاة أن يقتفوا أثرها ويسعوا لتكرارها في مجتمعاتهم، فما أكثر السدود التي يحتاج الدعاة لبنائها لحماية الناس من فتن الدِّين والدنيا، وما أكثر الطاقات المهدرة والمواهب المدفونة التي تحتاج إلى خبيرٍ ماهرٍ يكتشفها، ويحسن توظيفها واستغلالها.

مشاهد يوم العرض

رسائل المشهد:

- الحواس المعطلة.
- الأمل الضائع.
- سعي ضال وعمل خاسر.
- النعيم الدائم.
- كلمات الله الخالدة.
- الرسالة الباقية.

المشهد الثالث

مشاهد يوم العرض

المشهد كما عرضه القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)
الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا
(١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا
نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا
آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ
جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ
كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا
إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

بيان معاني الكلمات:

يَمُوجُ: يختلط ويضطرب.

الصُّورِ: القَرْنِ الذي يَنْفُخُ فيه إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وَعَرَضْنَا: أَبْرَزْنَا.

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي: أي عن القرآن، لا يفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضًا له، أو أعين قلوبهم وهي البصائر؛ فهي في أكنةٍ لا تبصر الحق، ولا تعرفه.

لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا: لبغضهم للحق والداعي إليه.

مَدَدًا: حِبْرًا. **لَنَفِدَ**: لفنيَ وفرغ.

لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا: أي: لا يطلبون تحولًا منها؛ لأنها لا خير منها أبدًا.

قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي: أي: قبل أن تفرغ.

رسائل من قلب المشهد:

➤ **ينتقل بنا سياق الآيات إلى مشهدٍ مِن مشاهد يوم القيامة،** وما قبله مِن علاماتٍ، فبعد أن ذكر الله تعالى خبر يأجوج ومأجوج؛

ذكر أول مشاهد يوم القيامة، وهو: النفخ في الصور، وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيجمع الله جميع الخلائق، ثم أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يفعله بالكفار يوم القيامة حيث إنه يُظهر لهم جهنم، ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم.

➤ ثم يذكر القرآن نموذجًا مؤلمًا لأناسٍ يأتون يوم القيامة بأعمالٍ باطلةٍ فاسدةٍ عملوها في الدنيا على خلاف مراد الله، وأمره ونهيه، ولكنهم يعتقدون أنهم على صواب، وأن لهم الحظوة والمكانة عند الله، وهؤلاء هم الكافرون المكذبون للرسل، مثل الذين عبدوا المسيح، وعزيرًا، والملائكة، وغيرها مِن وجوه صرف العبادة لغير الله.

ويدخل فيهم أيضًا: أهل البدع والضلال والانحراف، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١)، «فالآية عامة في كل مَن عبد الله على غير طريقةٍ مرضيةٍ يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله

(١) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

مقبول، وهو مخطئ وعمله مردود كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ [النور:٣٩]»[١].

ولما ذكرت الآيات حال المشركين، ناسب أن تذكر حال المؤمنين حتى تتشوق النفوس إليهم وإلى سيرتهم، فذكرتْ ما أعدَّ الله لهم مِن النعيم في الجنة، وما ينتظرهم من المنزلة الرفيعة والدرجة العالية عند الله.

➤ **ثم خُتمت السورة ببيان جلال الله وعظمته وسعة علمه،** ثم وجهت النداء للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمرته أن يقول لهؤلاء المشركين المكذبين برسالته إليهم أنه بشر، ومن يزعم أنه كاذب فليأتِ بمثل ما جاء به، فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم الغيب فيما أخبرهم به من الماضي، فيما سألوا عنه من قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، مما هو مطابق لما عندهم في الكتب؛ إلا إذا كان هذا الأمر بوحي من عند الله.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٢).

١- الحواس المعطلة:

قال الله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾:

➤ يحشر الله الكافرين يوم القيامة في صورةٍ مهينةٍ غير مرضيةٍ، فهم لا يقدرون على سماع آيات الله الموصلة إلى الإيمان؛ لبغضهم القرآن والرسول، كما قال تعالى عنهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ [فصلت:٥]، وفي أعينهم أغطية تمنعهم من رؤية آيات الله النافعة، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة:٧].

والآية وإن كان المقصود بها الكافرون المعاندون؛ إلا أن مداومة الإنسان على المعصية وشدة تعلقه بها تجعله على خطر عظيم، فربما أدمن فعلها حتى تصبح له بمنزلة العادة، فقد تبدأ المعصية كتجربة عابرة يقع فيها الإنسان بدافع الرغبة في التجربة أو التقليد، ثم تصير مع الوقت خُلُقًا وعادة؛ لذلك أمرنا الله بالمداومة على الاستغفار والتوبة؛ لأنها تحمي صاحبها من أن تتحول عنده المعصية إلى عادة متجذِّرة يصعب الفكاك منها.

كما أن الإعراض عن الهداية والتوبة عندما تلوح للإنسان فرصة اغتنامها قد يكون جزاؤه الحرمان الأبدي منها، قال الله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ [التوبة:٨٣].

٢- الأمل الضائع:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴾:

الكفار يسيرون على طريق إمامهم إبليس الذي يسعى لإغواء المؤمنين وفتنتهم، والله تعالى يقول لهم على وجه الاستفهام والإنكار -لظنهم المتقرِّر بطلانه في العقول-: هل تظنون أنكم تتخذون مِن عبادي أنصارًا لكم وأولياء يوالونكم مِن دوني؟! إن هذا لا يكون أبدًا، لأن المؤمن الحق لا يوالي معاديًا لله قط.

وتأكيدًا على العقيدة الصحيحة التي يعتقدها المؤمن في كل مَن كفر بالله، وهي أن مصير هؤلاء في جهنم، فقد ذكر الله أنه أعد لعذابهم نزلًا مهيأً لاستقبالهم، ويا له مِن نزلٍ أليمٍ موحشٍ؛ ليس كالنزل الكريم الذي يُعد لاستقبال الضيوف الكرماء الأبرار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٩]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨].

٣- سعي ضال وعمل خاسر:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾:

أمر مؤلم أن يظن الإنسان بنفسه خيرًا وهو على خلاف ذلك، والأكثر منه ألمًا ومرارة أن يكتشف الإنسان هذا الأمر متأخرًا،

بحيث لا يتمكن من التغيير والإصلاح؛ لذلك من رحمة الشرع بنا أن جعل المؤمن مرآة أخيه، يرى من خلاله عيوبه دون تعيير أو شماتة أو فضيحة، كما قال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»(١)، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «الْمُؤْمِنُ مَرْآةُ أَخِيهِ، إِذَا رَأَى فِيهَا عَيْبًا أَصْلَحَهُ»(٢).

➤ **فهذه الآية تجعل الإنسان في خوفٍ وقلقٍ على أعماله التي يظن أنها صالحة، وقد تكون عند الله ليست كذلك**؛ لذا ترشدنا الآية إلى ضرورة إصلاح العمل بأن يكون خالصًا لله موافقا للسنة، كما أكدت الآيات على ذلك في خاتمة هذه السورة، فما أصعب أن يبذل الإنسان التعب والجهد ثم يجد عمله مردودًا عليه، قال تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان:٢٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وقال: **اقرؤوا**: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾(٣).

(١) رواه أبو داود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» بسندٍ حسنٍ.

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

فهناك أعمال لا يقبلها الله ابتداءً، وهي التي فقدت أحد شرطي قبول العمل، وهما: الإخلاص والمتابعة، وهي التي يظن أصحابها أنهم يحسنون العمل في الدنيا وهم عند الله ليسوا كذلك، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(١)، وهناك أعمال تُسقط عن فاعلها الفريضة، لكن لا يكون له فيها الأجر والثواب، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بعض أصناف الصائمين: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**(٢).

٤- النعيم الدائم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾:

جعل الله الجنة نزلًا للمؤمنين يمكثون فيها بلا نهاية، ولما كان الخلود في الشيء يورث الملل والسآمة، جعل الله في نفوس أهل الجنة الرغبة في البقاء فيها، وعدم إرادة التحول عنها.

(١) رواه البخاري (٣/ ٦٩)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) رواه البخاري (١٩٠٣).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفردوس يطلق على البستان، المحتوي على الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق على جميع الجنة، فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجل وأكبر وأعظم مِن هذه الضيافة المحتوية على كل نعيم للقلوب والأرواح والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة.

وأعلى ذلك وأفضله وأجله: التنعم بالقرب مِن الرحمن، ونيل رضاه؛ الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها! وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علمًا حقيقيًّا يصل إلى قلوبهم؛ لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت

أرواحهم مِن ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحدانًا، ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتًا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة نفذت فكان ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(١)].

٥- كلمات الله الخالدة:

قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾:

➤ هذا مثل يضربه الله عَزَّوَجَلَّ لتقريب الصورة؛ لأننا لا نتمكن بعقولنا المحدودة أن نحيط علمًا بعلم الله الواسع اللّا محدود، ولا بقدرته العظيمة وإحاطته الشاملة، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فالبحر هو أوسع وأغزر ما يعرفه البشر، والمداد هو: المادة التي تُستخدم في الكتابة، فلو تحولت هذه البحار الغزيرة إلى مداد لكتابة كلمات الله عَزَّوَجَلَّ لجفَّت بحور المداد، وبقيت كلمات الله لا تنفد،

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٨).

وهذا نظير قول الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من باب تقريب المعنى إلى الأذهان؛ لأن هذه الأشياء مخلوقة، وجميع المخلوقات، منقضية منتهية، وأما كلام الله فإنه من جملة صفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حد ولا منتهى؛ فأي سعة وعظمة تصورتها القلوب فالله فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى: كعلمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته؛ فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، لكَان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة عصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته؛ ذلك بأن الله، له الصفات العظيمة الواسعة الكاملة، وأن إلى ربك المنتهى»[1].

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٨).

٦- الرسالة الباقية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾:

بهذه الآية تودعنا سورة الكهف؛ تودعنا بعد أن بيَّنت لنا منزلة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العالية التي تستمد علويتها وشرفها مِن كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرًا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولكنه في ذات الوقت يحمل عن الله رسالته، ويبلِّغ عنه دينه وشرعته، وهذه الرسالة قائمة على الدعوة إلى وحدانية الله عَزَّ وَجَلَّ التي تضمن للعبد النجاة في الآخرة.

فمن كان همه وغاية سعيه أن يلقى الله عَزَّ وَجَلَّ في هناء وسعادة وطيب مقام، فعليه بالعمل الصالح الذي يخلص فيه صاحبه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحقق فيه حسن متابعته للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمِن حقق هذين الشرطين في الدنيا نال حسن اللقاء في الآخرة.

كتابي صديقي

تطبيقًا لمبدأ القراءة الفعالة، وتحقيقًا للتواصل المثمر بينك وبين الكتاب؛ اكتب الدروس التي تعلمتها من هذا المشهد، ودوِّن المشاعر والانطباعات التي استقرت في وجدانك أثناء قراءتك للمشهد، وحدد النصائح التي يمكن أن تنصح بها غيرك؛ زكاة لما تعلمته وتطبيقًا لواجب النصيحة الذي أمرنا به نبينا محمد ﷺ في قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

الدروس التي تعلمتها هي:

....

....

....

....

(١) سبق تخريجه.

المشاعر التي استقرت في وجدانك هي:

....

....

....

....

النصائح التي تحب أن تنصح بها غيرك هي:

....

....

....

....

الواجب القرآني:

«قم بحفظ الآيات من الآية رقم: (١٠٠) حتى الآية رقم: (١١٠)».

داعية السوشيال ميديا

#رحلة_التمكين

قم بنشر بعض ما تعلمته في هذا المشهد على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بك، وانتوِ أنك تنشر العلم النافع، وتشجع على العمل الصالح، وتكثر من مساحة النشر الهادف، والمحتوى النظيف.

 # ختام_الكهف

 # مشاهد_يوم_العرض

مداومة الإنسان على المعصية وشدة تعلقه بها تجعله على خطرٍ عظيمٍ، فربما أدمن فعلها حتى تصبح له بمنزلة العادة، فقد تبدأ المعصية كتجربةٍ عابرةٍ يقع فيها الإنسان بدافع الرغبة في التجربة أو التقليد، ثم تصير مع الوقت خُلُقًا وعادة؛ لذلك أمرنا الله بالمداومة على الاستغفار والتوبة؛ لأنها تحمي صاحبها من أن تتحول عنده المعصية إلى عادة متجذِّرة يصعب الفكاك منها.

أمر مؤلم أن يظن الإنسان بنفسه خيرًا وهو على خلاف ذلك، والأكثر منه ألمًا ومـرارة: أن يكتشف الإنسان هذا الأمر متأخرًا، بحيث لا يتمكن مِن التغيير والإصلاح.

جعل الله الجنة نزلًا للمؤمنين يمكثون فيها بلا نهاية، ولما كان الخلود في الشيء يورث الملل والسآمة، جعل الله في نفوس أهل الجنة الرغبة في البقاء فيها، وعدم إرادة التحول عنها.

الخَاتمة

خاتمة

إذا أردنا أن نضع عنوانًا للدرس الأهم الذي أرادت السورة أن تعلمنا إياه، سنجده يدور حول «الأمل»؛ حيث بدأت السورة بضيق الكهف، وانتهت بسعة ملك ذي القرنين، الذي ملك المشارق والمغارب.

إن القرآن يريد أن يرشدنا إلى أن قضية الأمل مسألة حتمية لا بديل عنها؛ لأن اليأس والإحباط يؤديان إلى القعود والقنوط، وكلاهما خطر داهم على الفرد والمجتمع والأمة؛ بالإضافة إلى أن اليأس والإحباط مذمومان شرعًا، وقد حذرنا القرآن من اليأس ونهانا عن الوقوع في شَرَكه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧].

ثم إن الأمل منهجية نبوية، وسنة محمدية، طبَّقها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحابه في أحلك الظروف، وأشد الأزمات، وليس هناك أوضح من موقفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفر الخندق، وهو يبشِّر الصحابة بفتح فارس والروم، وهزيمة كسرى وقيصر، وهم في أشد مراحل الضعف والحصار.

كما أنه يجب عليك أن تبثّ في نفسك روح الأمل لكي تخرج من الحياة منتصرًا مرفوع الجبين، فحياتك جزء ضئيلٌ جدًّا من عمر الحياة ككل، فاحرص أن تكون هذه الحياة مليئة بالعمل، مفعمة بالأمل، واعلم أنك لستَ بأول الطريق ولست بآخره، فقد سبقك على الدرب كثرٌ، وسيخلفك عليه آخرون، فلا تنظر إلى الحياة مِن منظورٍ ضيقٍ، وافتح لنفسك نوافذ الأمل والتفاؤل، حتى تسعد في حياتك، ويسعد بك مَن حولك.

بالإضافة إلى ذلك: فإن سورة الكهف ترشدنا إلى ضرورة وأهمية إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي كل القصص التي وردت بالسورة كان محور القصة يدور حول الدعوة والبلاغ وتغيير المنكرات، ففتية الكهف أنكروا ما عليه قومهم من الكفر والتكذيب، والرجل الصالح أنكر على صاحب الجنتين تكذيبه بالبعث وعبادته للمال والمادة، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنكر على الخضر ما رآه مِن أفعال تبدو في ظاهرها شنيعة ومنكرة، وذو القرنين أنكر على أهل المغرب ما هم عليه من الظلم والفساد.

والدعوة الإسلامية الآن تريد جيوشًا وثابة من الرجال الذين يتعلمون الثبات على المنهج، والمرونة في الحركة، فيكونون كالسنبلة التي تميل مع الريح ذات اليمين وذات الشمال، ولكنها أبدًا لا تراوح مكانها، ولا تتخلى عن جذورها، وعند التأمل ستجد أن مرونتها أحد عوامل بقائها واستمراريتها.

أما الجذع الصلب الذي يتصدَّى للرياح والعواصف؛ فإنه قد يصمد أمامها مرة أو مرات، ولكنه في لحظةٍ ما سوف ينكسر؛ ليس لأنه ضعيف، ولكن لأن الرياح أكثر منه قوة، وفي المقابل: هناك نوعٌ مِن الزرع الهش الذي لا يقوى على المقاومة ولا يصمد أمام العواصف؛ لأنه منبت الأصل، سطحي التواجد، ضعيف الأثر، فما أسهل أن يُجتث ويضيع!

والله مولانا ونعم النصير

المراجع

- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور التونسي - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤ هـ.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - أبو بكر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة الخامسة - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) - المحقق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - منشورات محمد علي بيضون - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي -المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠ م.

۞ غريب القرآن - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - المحقق: أحمد صقر - دار الكتب العلمية - ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

۞ التبيان في تفسير غريب القرآن - شهاب الدين ابن الهائم - المحقق: د. ضاحي عبد الباقي محمد - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ.

۞ السراج في بيان غريب القرآن - محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري - مكتبة الملك فهد الوطنية - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

۞ مقدمة في أصول التفسير - تقي الدين ابن تيمية - دار مكتبة الحياة - بيروت، لبنان - ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

۞ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ الجامع الكبير - سنن الترمذي - المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

- الحيوان - عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٢٤هـ.
- السنن الكبرى، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
- السنن الكبرى - أبو بكر البيهقي - المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان)، ١٤١٩هـ.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم بن الحجاج، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية.
- المعجم الأوسط - أبو القاسم الطبراني - المحقق: طارق ابن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (مكتبة المعارف).
- سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، المحقق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن الهيثمي، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - أحمد بن محمد بن حنبل - المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

المحتويات

المقدمة.................... ٥
معالم الهداية في سورة الكهف «خريطة الكتاب»........... ١٩
الكهف سلوان المؤمنين................ ٢٩
الفصل الأول: قصة شباب الكهف.............. ٦١
المشهد الأول: الطليعة الواعدة............... ٧١
المشهد الثاني: في جوف الكهف............... ٩٩
المشهد الثالث: البعث بعد النوم.............. ١٢٣
المشهد الرابع: العودة إلى الكهف.............. ١٣٩
المشهد الخامس: ميزان العقيدة.............. ١٦١
الفصل الثاني: قصة صاحب الجنتين.............. ١٨٣
المشهد الأول: العطية الإلهية والحوار الكاشف.......... ١٩٥
المشهد الثاني: البوار الكامل................ ٢١٧
المشهد الثالث: حقائق الكون وأهوال يوم القيامة......... ٢٣١
الفصل الثالث: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر............ ٢٥٩

المشهد الأول: العزيمة الصادقة........................٢٦٧
المشهد الثاني: مجمع البحرين..........................٢٨٣
المشهد الثالث: الحوادث الغامضة.......................٣٠١
المشهد الرابع الحكم الخفية.............................٣١٥
الفصل الرابع: قصة ذي القرنين وختام السورة..........٣٣٥
المشهد الأول: الرحلة بين المشرق والمغرب.............٣٤٣
المشهد الثاني: بناء السدّ ٣٥٩
المشهد الثالث: مشاهد يوم العرض......................٣٧٩
الخاتمة...٣٩٧
المراجع...٤٠٢
المحتويات..٤٠٧

تم بحمد الله

لقد تحوَّلت المحنة بعد ثلاثة قرون إلى ملحمة من ملاحم التمكين؛ رغم أن أصحاب الدعوة والمتحدثين الحصريين باسمها قد فرّوا [illegible] ولم تحدث بينهم وبينه مواجهاتٌ كما هو مألوفٌ ومعتاد [illegible] ع بين الحق والباطل، فقد كتب الله لهم النصر دون أن تُراق دماؤهم [illegible] رج بهم في السجون، أو يُعلَّقوا على أعواد المشانق.

قدَّر الله عزَّوجلَّ أن يتغير المجتمع إلى الأصلح في ظل غياب أصحاب الرسالة... ثلاثة قرون غاب فيها [illegible] عن الحياة... ثلاثة قرون في شعور النائم كأنها يوم أو بعض يوم، ولكنها في الواقع مدة طويلة كانت كفيلة بتغيير وجه العالم؛ ذلك ليبقى الدرس واضحًا لكل فتية في كل زمانٍ ومكان: أن العجلة والتسرع ليست من مفردات ذلك الطريق، فالتغيير بيد الله، والهداية من عند الله، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:54]

دار الخلفاء الراشدين للنشر والتوزيع

إسكندرية - أبو سليمان - ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين

إسكندرية - أرض شاكوس - ش٤٩٤
كاستنيا - متفرع من ش مصطفى
كامل الرئيسي - برج الحمد

01120004646 - 01005013151
daralkholafaa@gmail.com

دار الفتح الإسلامي للنشر والتوزيع

الإسكندرية - بمصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الأسلامي

01094555157 - 01118171931
dar_alfath@gawab.com

أقطار AQTAR
(00201011744178)
aqtardesign.com